



# حكايات من زمن المحن



محمد عبدالقادر الشيخ




**حكايات من زمن المحن**

**المجموعة الكاملة ( الأجزاء الأول والثاني والثالث )**

---------------------------------------------------

**مجموعة صاد العالمية**

**محمد عبدالقادر الشيخ محمد – 2024م**

---------------------------------------------

تقديم:

تحية لك يا من تقرأ هذه السطور ... مع دعائي للمولى عز وجل أن يهبكم الصحة والسعادة والسرور ...

رسالتي في هذه الحكايات أن أنبه الغافلين لحقيقة ما جرى وما يجري منذ منتصف القرن العشرين وحتى هذه اللحظة التي نشهد فيها نهاية وشيكة للربع الأول من القرن الحادي والعشرين مع توضيح وجهة النظر التي يظهرها كل فريق من الفرقاء، ولا يسعني إلا أن أقول مؤكداً بأن حكاياتي هذه تمثل من وجهة نظري شهاداتُ شاهدٍ محايد على عصره جمعتها من خلال معايشة متجردة لما دار وما يدور حولي من أحداث وما خبرته عن أقوام وأوطان وما أختبرته من معتقدات وطرق تفكير ومدراس تربوية...

لذلك فقد تجدون فى هذا الكتيب الذي أضعه بين أيديكم الكريمة هنات نحوية وإملائية وأدبية فأرجو كريم تسامحكم معها إذ لم يكن ذلك من أهداف رسالتي في هذه الحكايات كما لم يكن من مقاصدها أبداً أبراز مقدراتي اللغوية ولا حتى مناهجي الفكرية ولم أقصد بهذه الحكايات أمتاعاً أدبياً ولا ترفيهاً فكرياً لكم أو لنفسي بل ولم أقصد أبداً بناء أو تبني موقفاً فلسفياً أو سياسياً حتى بل جل ما أردته من خلالها– إدلاء بشهادتي على زمان عشته – ولا يطلب من الشاهد تقيماً أو حكماً لذا لا يشترط في من يدلي بشهادة أن يدعي إلماما بأصول الكثير من العلوم ولا حتى الإحاطة بمغزي أو تأويل الشهادة التي يدلي بها كما لا يشترط عليه إتباع أي صورة من الصور اللاإلزامية المقيدة والتي يتصورها الكثيرون ممن أفاقوا على الدنيا فوجدوا من خطوا لهم مناهجاً وحددوا لهم أطراً صارت لهم بالمرجعية التي لا يجوز لهم أن يحيدوا عنها قيد أنملة حتي لو تبين هم خطؤها أو رأوا إختلافها الفاضح والواضح مع كل أو بعض ما يعيشونه من واقع ووقائع.

ولقد ألبستُ شهاداتي على العصر ثوب الحكايات لما عهدته لدى الكثيرين من طباع ميالة للملل من صريح الحديث والذي حتى لو لم يملوه لما علق بالذهن إلا لفترة إعتدناها جميعا وخبرناها من خلال مراقبة ما يعلق بالأذهان من المواد الدراسية – طبعا هذا عدا القصص والشعر ومختصر العبارات – وعادة نسيان ما فاض من الحديث قادت الناس في الماضى ليستنبطوا لها توضيحاً صاغوه في العبارة الشهيرة:

" خير الكلام ما قل ودل "

فتعاهدت الأمم حِكماً وأقوالاً مأثورة تلخص كثير الشروح في قليل كلمات ، لكن ومن الجانب الآخر فقد لاحظ القدماء أيضا رسوخ الآيات الدينية والشعر والقصة والكثير من الحكايات في ذواكر الشعوب مما حدا لتعديل العبارة التي ذكروها سابقا لتصبح:

" خير الكلام ما قل ودل ... وجل ولم يمل "

أسأل الله أن يجعل لهذه الحكايات نصيبا من الإمتاع يبعد عنها الكثير من الملل ولو لحين – إذ ليس لي إلا أن اردد ما قد نسب إلى ألبرت أينشتاين من مقولة يقال أنها من أواخر كلماته في نهاية أيام حياته :

" لا أدري ماذا يخبئ المستقبل لنظريتي ، لأن ديناميكية العلم
تلغي ثبات أي نظرية علمية"

وحتى لو فسرنا كلمات ألبرت هذي بطرق مختلفة تظل حقيقة التغيير والتجديد والتحوير والتعديل ديدنا ثابتا تفرضه ديناميكية الحياة.
أسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن...
مع دعائي لي ولكم بالتوفيق...

**محمد عبدالقادر الشيخ**
السودان – في 1445هـ - 2024م

# حكايات من زمن المحن

## الجزء الأول

## الجزء الأول – الفصل الأول

### [ 1.1 ] حقل التجارب الجديد

جلست الى صديقي الفيلسوف بعد إلقاء التحية وتلقي رده المقتضب على تحيتي ... صمت فاحترمت صمته وجلست صامتا اترقب ...
مضت الدقائق رتيبة بطيئة ...
فجأة رفع رأسه وقال:
(" لماذا يجعلون من البسطاء حقل للتجارب؟")
ولم ينتظر اجابة مني بل واصل:
(" بعد انفجار ثورة البيانات انتقل العالم المسيطر على التقنيات والتكنولوجيا الرقمية إلى ثورة المعلومات وبسرعة كبيرة ازدادات الاجهزة الداعمة للبشر من اجهزة الابصار والسمعيات والاطراف الصناعية ونحو ذلك واستبشر الناس وفرح المرضى بما توافر من اجهزة جعلتهم يتخطون نواقصهم بصورة مقبولة ... ولكن")
صمت صديقي للحظات وكأنه يطلب مني استيعاب ما قاله والاستعداد لما سوف يأتي بعد (لكن) هذه... سمعته يطلق زفرة قبل ان يواصل:
("وانفجرت المعلومات ودخل عالمهم ثورة المعرفة وحتى يتسنى لهم استنهاض البنيان المعرفي تحتم الولوج في تقنيات وتكنولوجيا المؤازرة التي يمكنها أن تزيد من عدد ونوعية المستقبلات و المتحسسات البشرية بحيث يتمكن الفرد مثلا من التقاط أصوات خارج النطاق الموجي للسمع البشري او ان يرى في الظلام الحالك وكانه في النهار او ان يشم الروائح من مسافات بعيد ويميز بينها بكفاءة تفوق مقدرات افضل الكلاب المدربة.")
هبَ صديقي واقفا بصورةٍ مفاجئة وتحرك من موقعه ليقف إلى جواري مباشرة ثم واصل من بين اسنانه :
(" لقد كانوا يستخدمون فئران التجارب والحيوانات في مراحل الاستكشاف للصناعات الداعمة ولكن ذلك لم يعد كافيا ولم يعد الحيوان مُجدياً عند الانتقال لصناعة الاجهزة المؤازرة فالمعرفة تحتاج أنظمة بيولوحية أكثر تعقيداً من الاجهزة التي تتيحها الفئران وحيوانات التجارب وصار لزاما استخدام الإنسان ولا أقول الإنسان المفرد بل حتى الجماعات البشرية في بيئاتها الطبيعية بعد زرع الشرائح المختلفة في اجسادها والسيطرة على عقولها!!!!")
تنهد صديقي مرة أخرى وقال:
(" بكل اسف تم اختيار الدول الأكثر تخلفا ومواطنيها كمعامل لتجاربهم وصار الكثير منا فئران تجارب !")
رمقني فيلسوفي بنظرة وهو يرفع نظارته عن عينيه وكانه يستكشف مدى تأثير ما قاله ..

ثم أردف قائلاً:
(" سوف اخبرك عن أسرار بعض ما يحدث في هذا العالم في جلسة قادمة ان شاء الله.")
وقبل أن أُعلق بكلمةٍ كان يخطو مبتعداً وفي خطواته غضبٌ وثورة ...

## [ 2.1 ] فنجان قهوة

انتظرتُ هنيهة وانا اراقب خطوات صديقي الفيلسوف وهو ينصرف مبتعدا ثم استجمعت قواي لانهض من مقعدي وامضي متثاقل الخطو نحو منزلي...
في الطريق إلى المنزل كنت انظر حولي الى المارة وقد اخذتْ الافكار تتوالى والاسئلة تتعاقب على رأسي ... ترى كم من هؤلاء قد تمكنوا من زرع الشرائح في أجسادهم؟ وكيف تمت زراعة تلك الشرائح؟ وما هي انواعها واغراضها واثارها الايجابية والسلبية؟ اسئلة كثيرة غزت فكري كبحرٍ متلاطم الأمواج...
احسست برغبة جامحة في تناول قدح من القهوه فدلفت مسرعا الى داخل أول مقهى قابلني وجلست متهالكاً على الطاولة ثم طلبتُ من النادل كأسا من القهوة السوداء...
لم أدر كم مضى من الوقت بين طلبي وحضور الجرسون حاملاً القهوة وكاساً من الماء المثلج ليضعهما امامي وقد إرتسمتْ على وجهه ابتسامة عريضة... وفجأة وجدتني امسك بمعصم ذلك الشاب واركز نظري على عينيه مباشرة فارتسم على وجهه مزيج من الدهشة والغضب فاسرعتُ بالسؤال:
("هل تم غرز شريحة في جسدك؟") ...
احسست بأن موجة من الغضب والانزعاج قد تملكته وهو يحاول تخليص يده من قبضتي ... فافرجت اصابعي وأنا اتمتم :
("عذرا أنا آسف")
تراجع النادل الشاب للوراء قليلا قبل ان يقول:
(" لا عليك...")
ثم اردف بصوت هامس:
(" لقد قام خواجات بعثة المساعدة الطبية بزرع الشرائح في اجساد جميع السكان في قريتي وقد قالوا إنها تحمي حاملها من الاصابة بفيروس كوفيد19 ")...
من دون وعي مني انفغر فاهي وطافت غمامة أمام ناظري...
تناولتُ كأس الماء وكرعته في جرعة واحدة وقبل ان يستقر فارغاً على الطاولة تناولتُ قدح القهوة بيدي الأخرى لاكرعه دفعة واحدة وأنا اسمع همس الجرسون وهو يقول :
("ما هذا الجنون؟")

## [ 3.1 ] تم تفعيل الشريحة بنجاح

عدتُ إلى المنزل وأنا استحث خطواتي مسرعاً ومتجنباً النظر في المارة ...
قابلتني صغرى بناتي عند مدخل الباب فرمقتني بنظرة استغراب وصاحت :
("بابا!.. هل انت مريض؟")
حاولتُ رسم ابتسامة لاطمئنها ووضعت يدي فوق رأسها وأنا اقول :
(" لا لست مريضا ... أنا بخير والحمد لله")...
قالت :(" اذن لابد ان تكون قد التقيته")
فاسرعت متسائلا:( "من تعنين؟")
قالت ببراءة (" ومن يكون غير صديقك الفيلسوف!")
رمقتها بنظرة وانا أتساءل (" وما به؟ ")
قالت (" لا شيء فقط تذكرت حين سألك عن معضلة الغنم ")
حاولت لبرهة أن أتذكر الأمر لكن لم تجدي المحاولة كما لم يعد الصبر ممكناً فقلت لها بصوت يحمل رنة غضب لم أجد ما يبرره :
(" ذكريني بالموضوع ")
قالت:(" لقد عدت يوماً ووجهك يحمل تساؤلات وحيرة كما هو عليه الآن وحين سالتك ما الأمر قلت لي بأن صديقك الفيلسوف قد قال لك بانه قد مر على قطيعين من الغنم فعلق على الأول بعبارة (ما اكثره وما اقله) بينما علق على الثاني بعبارة(ما اقله وما اكثره ) وقد اوضح لك تساوي عدد الاغنام في القطيعين وطلب منك تفسير العبارتين ")...
فجأة قفز كل محتوى تلك الليلة لذاكرتي بعد أن ملكتني صغيرتي طرف الخيط ، فاضفت بحماس:
(" تذكرت يومها قلتي لي - أما القطيع الأول فاغلبه من (الذكور) بينما أغلب القطيع الثاني من (الاناث) ")
ثم وجدتني بلا وعي أُردف
(" الآن صرنا نحن القطيع ")...
فجأة سرتْ رعشةٌ في كامل جسدي وكأني قد صعقتُ بتيارٍ كهربائي وقد تناهى الى سمعي صوت صغيرتي وهي تتساءل
(" هل تم تفعيل شريحتك؟ ")
اسرعت إلى فراشي وأنا ارتعد رعباً ورغم أنني قد احكمت إغلاق عيني الا أنني كنت اتخيل صغيرتي وهي تقف عند طرف السرير مرددةً:
(" لقد تم تفعيل الشريحة بنجاح ")

مرت أيام انقطع فيها الاتصال والتواصل مع صديقي الفيلسوف وفي ذات الوقت كنت كلما نظرت في عيني صغيرتي تنتابني تلك القشعريرة وتسري برودة في اطرافي...
لم اجرؤ على سؤالها اما من جانبها فقد اكتفت برسم ابتسامة المنتصر على وجهها كلما تلاقت اعيننا...
أيام عصيبة صرت خلالها اتحاشى الناس وانظر اليهم وكانهم قد اتوا من كوكب آخر.....
لم اكن قبل ذلك ممن يصابون بالدهشة حين يقترح عليهم محرك البحث من قوقل مقترحات تظهره وكانه مطلع على ما أفكارهم فقد كنت اعلم بأن ما تتيحه منصة هادووب ( Hadoop) من عناقيد قواعد بيانات هيكلية SQL او غير الهيكلية NoSQL تقبع في خليفة قوقل اضافةً لخوارزمات تحليل تدفق البيانات وما تتيحه المستشعرات والمعالجات المتطورة ووسائط التخزين الفائقة والنظم الذكية والموزعة التي تستبيح حتى اجهزتنا في الخلفية بعلمنا او بدون علمنا بل وفي كثير من الاحيان قسراً وعنوة (حكم القوي على الضعيف) تجعل مسألة الاقتراح الذي يعطيه محرك البحث مسألة سهلة ميسورة ...
مرت أيام وأنا اتردد على مكان لقائي بصديقي الفيلسوف في اوقات لم اكن التقيه فيها عسى ولعل ... لكنه لم يطل او يظهر له اثر...
رحت اسأل نفسي لماذا لم اطلب منه رقم هاتفه من قبل؟ ولكن هل يمتلك هاتفا ! حقيقة لم يسبق ان شاهدته يستقبل او يجري اتصالا هاتفيا ...
أيام تمر بطيئة والاسئلة تتقافز محملة بالكثير من الملامة : لماذا لم اسأله عن عنوانه؟ لماذا لم اتابعه ولو لمرة واحدة ؟
لماذا طوال السنوات التي عرفته فيها لم يسبق له ان زارني في منزلي رغم دعواتي له ولماذا لم يسبق له ان دلني على كيفية اجاده إذا احتجته...
كان اللقاء الأول بيننا في ذات المقعد المنزوي بالحديقة المجاورة لمكان عملي حيث اعتدت كلما غادرت العمل ان اجلس علي ذلك المقعد اتامل غروب الشمس واستنشق الهواء الرطب المشبع برائحة الورود والطين ..
في اللقاء الأول والذي اتذكره الآن بوضوح كانه حدث منذ دقائق وقف امامي ملقيا التحية واستاذنني بالجلوس إلى جانبي فاذنت له دون ان التفت ناحيته ... وبعد برهة من جلوسه تنحنح وقال لي:
(" عذرا.. هل تشاهد الغروب هنا بانتظام؟ ")
وايضا دون ان اتجه نحوه ببصري اجبت:
(" نعم ... كلما خرجت من العمل جلست في هذا المقعد اراقب غروب الشمس ")
قال: (" وهل تسمح لي بالجلوس احيانا معك؟")...

عندها التفت ناحيته فتفاجات بشاب يصغرني بحوالي العشر سنوات اسمر البشرة تلتمع عيناه من خلف نظارته السميكة وقد تأبط حقيبة جلدية عتيقة...
مددت له يدي وقلت:
(" مرحبا بك في أي وقت .. عموما هي حديقة عامة لا تحتاج أن تستاذنني في الجلوس فيها ")...
مد يده الصغيرة لتضيع بين غليظ اصابعي وقال:
(" شكرا... محسوبك الفيلسوف. ")
وجدتني اضحك رغما عني وأنا اقول:
(" تشرفنا بالفيلسوف.. ") ثم اردفت في شيء من التهكم:
(" ما دمت فيلسوفا فهل اقول اني "موسى" ام اكتفي بأن اقول "باني فتى موسى وتابعه ")...
لم يكترث لتهكمي الواضح لكنني سمعته يقول:
(" فإن صاحبتني فلا تسالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا ")
لم اعلق لكني التزمت بعدم سؤاله وعاهدت نفسي ان اظهر له صبرا...
تكرر مجلسنا وفي كل جلسة كنت ألمس فيه حكمة ومنطقا وفلسفة لم اجدها لدي "هيغل" ولا "جوته" ولا "ديكارت" او غيرهم من الفلاسفة القدامى او المعاصرين ...

## [ 5.1 ] لسان أفعى

في تلك الامسية وبينما كنت عائدا للمنزل ...إلتقيت صغرى بناتي عند مدخل البيت ... رمقتني بنظرتها التي باتت تؤرقني وابتسامة النصر كما اسميتها تتلألأ فوق ثغرها ...
حملقتُ في وجهها الذي طالما قبلته من قبل ولبرهة خيل لي انها قد اخرجت لسانا ازرق اللون مشقوقاً كلسان افعى من بين شفتين اصطفت خلفهما اسنان كاسنان حيوان مفترس...
استدرتُ وغفلتُ راجعاً و مسرعاً إلى الحديقة التي كنت التقي فيها بذلك الفيلسوف...
لم اجلس على مقعدي المعتاد بل رحت اذرع ممرات الحديقة جيئة وذهابا وقد شبكت يدي خلف ظهري...
تسائلت عما إذا كان من واجبي زيارة طبيب نفسي... والافكار تتزاحم على رأسي...
لم أشعر بالوقت يمر ولا بالظلام يحل حتى رن هاتفي المحمول فاخرجته من جيبي وكانت المكالمة من بنتي الكبري التي ابتدرتني :
(" بابا أين انت انتظرناك على العشاء ولم تحضر والان انتصف الليل ! هل انت بخير ؟ لقد قلقنا عليك") ...
وجدتني أقول بصوت مرتعش :
(" ليس هنالك شيء أنا الآن في طريقي إلى المنزل ") ...
اعدت الهاتف الى جيبي واسرعت الخطى نحو المنزل...
فتحت باب الدار محاولا عدم احداث جلبة او صوت وما ان ولجت الى الداخل حتى تفاجأت بكامل الاسرة جلوسا حول طاولة العشاء...
قلت بصوت حاولت أن يبدو طبيعيا:
(" لماذا لم تتناولوا عشاءكم إلى الان؟ ")
ردت ابنتي الوسطى وهي تغالب التثاؤب :
(" لم يسبق لنا منذ رحيل والدتنا ان ننام قبل ان نتعشى معا ")
سحبت مقعد في مقدمة المائدة وجلست متهالكا...
همست كعادتي :
(" بسم الله المنعم الوهاب ")...
من طرف عيني رمقت صغيرتي ولم تفتني ابتسامة النصر ...
تنحنحتُ... وازدرتُ اللقمة بصوتٍ مسموع...
سمعتُ الصغيرة توجه الي سؤالاً :
(" لم يحضر؟ ")
قلت وانا اخفي انفعالي :(" من تقصدين؟ ") فاطلقت ضحكة صغيرة وهي تقول:
(" ومن غيره؟ صديقك الفيلسوف ")
حاولت التصنع بعدم الاكتراث وأنا اسألها:( "اتعرفينه؟")
تجراتُ هذه المرة بالنظر الي عينيها مباشرة ...

هزت رأسها فامالته يمنة ويسرى وهي تقول:
(" ليس تماما ")
نهضت واقفا وأنا أقول:
(" استمتعن بعشاءكن فقد اكلت شيئًا قبل العودة ")...
ولم انتظر حتى لسماع تمنياتهن لي بليلة سعيدة...

اوصدت باب غرفة نومي واطفأت المصباح فغرقت الغرفة في ظلامٍ دامس...
استلقيتُ على ظهري في الفراش ورحتُ ابحلق في السقف دون ان ارى في تلك الظلمة من شيء همستُ:( ظلمات بعضها فوق بعض إذا اخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) تنهدتُ ودعوتُ الله ضارعاً ان يهديني فقد اضحى كل شيء من حولي ضبابياً ومعتماً ومخيفاً...
فجأة تناهى إلى سمعي صوت طرق خفيف على باب الغرفة وسمعتُ صوت صغيرتي وهي تقول:
(" بابا هل يمكنني أن ادخل؟ ")...
رأيتها في خيالي وهي تخرج لسانا ازرق مشقوق كلسان افعى... ارتعدت خوفا وملأت رعبا ...
عاد صوت صغيرتي وهذه المرة قالت وهي كمن يوشك بالبكاء:
(" بابا انني خائفة ")...
قفزت من سريري وقد تلاشت جميع مخاوفي ونسيت ما كان يتملكني من رعب ...
فتحت باب الغرفة وحملت صغيرتي بين ذراعي اضمها إلى صدري ودمعة حارة تتحدر من عيني...
وضعت الصغيرة على فراشي وتمددت إلى جانبها ...
لم استطع حبس الدموع التي ظلت تنهمر مني ولم انبت ببنت شفه...
لم ادر كم مضى من الوقت قبل أن أسمع انتظام صوت انفاسها فعلمت انها قد غطت في النوم ...
ظللت امسح على شعر رأسها ولم يغمض لي جفن حتى سمعت اذان الفجر فنهضت وتوجهت إلى المسجد...
عقب عودتي من الصلاة كان ضوء الفجر قد تسلل إلى غرفتي وصغيرتي ماتزال نائمة...
تذكرت أن اليوم عطلة فتمددت على السرير إلى جوار الصغيرة ولم احول ناظري عن وجهها الملائكي...
فتحت صغيرتي عينيها وابتسمت هذه المرة لم أرى في ابتسامتها هزوا بل غمرتني بفيض من السعادة...
همست بصوتها العذب:
(" احبك بابا... احبك كثيراً ")
مدت يدها الصغيرة نحوي واغمضت عينيها فاحتضنت تلك اليد الناعمة وفجأة احسست وكان شريحة مغطاة تحت ذلك الجلد الرقيق...
وقبل أن استوثق من الأمر سحبت الصغيرة يدها النحيلة وفتحت عينيها وهمست:
(" بابا لا تدعني أنا خائفة جدا ")
وجدتني انسى أمر الشريحة واحتضن صغيرتي وأنا اهمس في اذنها مطمئنا:

(" لن اتركك يا حبيبتي ... لن اتركك أبدا فلا تخافي ")...
لا ادري لماذا تكالبت علي كل جيوش النوم في تلك اللحظة...
وقبل أن اغط في نوم عميق سمعتها تقول:
(" ماما دائما ما ...")

## [ 7.1 ] الراحلة المقيمة

عندما افقت من نومي وجدت صغيرتي ما زالت الي جواري وقد اسندت رأسها الصغير إلى صدري كمن يتسمع لدقات قلبي...
ابتسمت وهبت واقفة وهي تقول:
(" لقد انتظرناك بالافطار ... فلنسرع لأنني اموت جوعا ")
....
عقب الافطار طلبت مني صغيرتي ان احدثها عن امها الراحلة...
تذكرت أنني قبل ان يغلبني النوم سمعت جزء من جملتها التي ذكرت فيها امها...
نظرت طويلا في وجهها ... وبادلتني النظرة وهي تترقب ما سوف احدثها به...
لا ادري لماذا اخترت أن ابدء من تلك الذكرى ... قلت:
( التقيت بامك في الجامعة حين كنت أقوم بالتحضير لنيل درجة الدكتوراة ...
كنت وحيدا وغريبا ... بل كنت كالنقطة الشاذة بلوني الاسمر في تلك المدينة ... ورغم أن الكثير من الاساتذة والدارسين والطلاب كانوا يستغربون لوني ومظهري الا انهم اعتادوه كما اعتدت نظراتهم ولم اعد اكترث لما يبديه الغالبية من عنصرية وازدراء للوني....)
نظرت في عينيها ...
لمست شغفا منها في ان اكمل حديثي... فواصلت:
(" امك رحمها الله كانت عالمة تحمل ارفع الدرجات العلمية في الهندسة الوراثية وترأس قسم الدراسات والبحوث بالجامعة...
كانت تكبرني ببضع سنوات و كانت جميلة مثلك...
جمعت بيننا في أول لقاء لنا مائدة غذاء...
ابتدرتني وهي تجلس إلى جواري قائلة:( مرحبا ... اواه... لأول مرة في حياتي احس بأنني انثى ...) وضحكنا معا وانا اعقب:( في بلادي في مثل هذا الموقف يجب أن اقول اعطيني عنوان والدك وسوف نحضر أنا واهلي لطلب يدك !!)
فعقبت وهي تبتسم:(هكذا اذن؟ )..."")
رمقت صغيرتي بنظرة فوجدتها تستمع بكل انتباه...
انطلقت مني زفرة حرى ، فواصلت:
(" تم كل شيء بسرعة ... تزوجنا وسارت حياتنا من سعادة إلى سعادة وتعينت في الجامعة عقب اكمالي للدكتوراة وكثيرا ما كنا نسافر أنا وامك للمشاركة في المؤتمرات العلمية...
رزقنا بشقيقتيك الكبريين وبعدهما كان ميلادك ")
مددت يدي ممسكا فكها السفلي وأنا أقول:
(" آخر العنقود سكر معقود ")
وانحدرت دمعة من عيني وأنا اقول:

(" بعد عيد ميلادك الأول بايام وبينما كنا نتجهز لزيارة الوطن بناء على رغبة امك التي كانت دائمًا ما تطالبني كي اسافر بها لبلادي واعرفها على اهلي ..وكنت اعدها بأن البي رغبتها ولكن وفي كل مرة سرعان ما نغرق كلانا في بحر الابحاث والمؤتمرات العلمية... بيد أننا عزمنا على السفر عقب عيد ميلادك وكما قلت بدأنا بالتجهيزات لذلك...

كانت امك سعيدة بل كنت احسها اكثر شوقا وتوقا للقاء اهلي مني!!! ")

توقفت عن الحديث لبرهة وجذبت صغيرتي وضممتها إلى صدري واضعا كفي على عظمة كتفها وفجأة وكمن لسعته جمرة احسست بشيء كالشريحة مطمور في لوحة كتفها...

في ذات اللحظة قفزت الصغيرة من حضني وكانها قد علمت بما عثرت عليه...

ركضت صغيرتي بصورة مفاجأة الي غرفتها واوصدت الباب من الداخل وحين اقتربت من الغرفة سمعت صوت بكاء مكبوت...

في ذلك اليوم خرجت من المنزل قبل غروب الشمس وتوجهت إلى مقعدي المعتاد في الحديقة ...
لم اراقب مغيب الشمس كعادتي بل القيت برأسي للخلف واغمضت عيني...
فجأة احسست باقتراب أحدهم مني فاقمت رأسي وفتحت عيني...
نهضت واقفا وصرخت :
(" انت ؟ أين كنت؟ ولماذا غبت عني كل هذه الفترة ؟ ")
كان صديقي الفيلسوف يقف امامي بشحمه ولحمه متأبطا حقيبته الجلدية العتيقة وابتسامة تعلو وجهه...
لأول مرة اراه مبتسما...
قال :(" لقد اكثرت الاسئلة ")
واطرق برهة ثم رفع راسه وقد فارقت الابتسامة وجهه وقال :
(" هذا فراق بيني وبينك سانبئك بما تبغي...")
احسست بغصة في حلقي ولكني لم اجرؤ على الحديث ولا على النظر في وجهه فاطرقت بينما اتخذ هو مجلسه إلى جواري...
قال بعد دقيقة صمت:
(" كنت قد وعدتك بفضح بعض الاسرار ... اعلم يا صديقي أنهم يخططون لابادة السود والعرب والمسلمين واليهود أيضا ")
صمت لبرهة ثم اردف:
(" قد يبدو ذلك غريبا بعض الشئ لكن دعني اشرح لك ... من وجهة نظر عدد من اثرياء العالم وملاك الشركات الكبرى انه يتوجب على *العلم* الآن أن يعطيهم خلودا ونعيما وجنة كجنة الله ويرون ان ذلك لا يتاتى لهم الا من خلال الكشف الكامل لاسرار الخلق والخليقة والتحكم في جينات جميع الكائنات المعروفة بيد أن الجينوم يستعصي عليهم حيث تتداعى نظرية المشابهة والمقاربة وبالاختصار تنهار الدارونية ونظريات التطور والانتخاب وكل ما اعتقدوا انهم على وشك الكشف عن خارطة جينية تجلت حقيقة بعدهم عن ذلك لسبب بسيط هو تفرد الجينوم لكل فرد لا اقول لكل جنس او نوع بل لكل فرد وفي مثل هذه الحالة وبغرض الوصول لنتائج مقبولة نوعا يتحتم اخذ عينات كثيرة بصورة لم يعهدها الاحصائيون من قبل فلزمهم زرع الشرائح في ملايين السود...
اضافة لذلك يجب أن تقلل اعداد البشر ليجد هؤلاء الخالدون مجالا يعيشون فيه وحتى يمكنهم التخلص من ما يسمى من وجهة نظرهم بالقيم الدينية السماوية وجب عليهم التخلص من المسلمين واليهود وكل ما يسمونه بالقادم من الشرق الاوسط اما التخلص من السود فهذا من دواعي العنصرية العرقية والتي لن تقف عند هذا الحد بل في حال نجاح مخططاتهم فسوف يتم القضاء على الجنس الاصفر والذي يشمل جميع الاسيويين... ")

صمت صديقي للحظات ثم اضاف:
("  بدأ التنفيذ الميداني للمشروع منذ عام 1985م حيث تم زرع المئات بل الالاف من الشرائح في اجساد الكثير من السود بعضها بغرض تغيير الخصائص والمواصفات سلبا وايجابا والاخر بغرض اضافة خصائص وصفات مطلوبة والبعض للكشف عن سر الخلود والسعادة ...
ومع كل تلك الانواع من الشرائح تم تزويد من زرعت بهم الشرائح بشفرة الموت للتحكم في قتلهم من على البعد")
اغمضت عيني ...
عندما فتحتهما مرة أخرى لم أجد صديقي الفيلسوف...
لقد مضى دون وداع...
تلفت حولي واذا بي اراه مبتعدا عند مدخل الحديقة والى جواره صغرى بناتي....

## الفصل الثاني

### [1.2] اجتماع منظمة اكس لاجل مستقبل مشرق

أخذ السيد "بيل" يراقب المناظر المتعاقبة من خلال نافذة السيارة حيث اخذت الأشجار المتراصة على جانبي الطريق تبدو له كالراكضة بسرعة في اتجاه معاكس لاتجاه سير العربة ...
نظر الى ساعة معصمه... لقد تبقت دقائق معدودة للاجتماع وعليه ايجاد اسباب منطقية مقنعة للاجابة على عدد من المسائل التي تشملها الموضوعات المدرجة في اجندة الاجتماع ...
تنهد "بيل" قبل ان يخرج ورقة من جيب جاكيته ...
اخذ يحدق في تلك الورقة ... ثم وجد نفسه يحاول أن يتذكر كم مضى عليه من زمن لم يمسك فيه بقلم وورقة بعد ان صارت شبكته الشخصية الخاصة من الاجهزة الالكترونية تقدم له البديل الوافي والكافي للكثير من الأشياء...
انحرفت السيارة عن طريق المرور السريع لطريق فرعي اودى بها إلى مزرعة مخضرة محاطة بسور من اسلاك الامواس الشائكة ومن خلفه حزام من الاشعة الليزرية ... صف السائق السيارة في الموقف المخصص لسيارة الرئيس وترجل ليفتح الباب للسيد " بيل " الذي قفز بنشاط وسار بسرعة ليعبر بوابة المبنى الذي اتقن بناؤه على طراز العمارة الاندلسية القديمة...
سار "بيل" عبر الردهة وكان أول من قابله اليهودي السيد "لافي" الذي بادر بإلقاء التحية علي "بيل" فرد الأخير بصورة مقتضبة وقطب ما بين حاجبيه مما يوحي باعتباره لهذا اللقاء نذير شؤوم ...
ثم زاد من سرعة مشيته متخطيا مجموعة من الأعضاء العرب دون ان يلتفت ناحيتهم ليصل الى باب القاعة الكبرى وقبل الدخول استوقفه صوت نسائي رنان فالتفت ناحيته فإذا بالسيدة "هيلين" بقوامها الممشوق وقد انسدل شعرها الاشقر على اكتافها و ارتسمت ابتسامة عريضة على ثغرها تتقدم بخطواتها الرشيقة ناحيته...
وحين وصلت اليه.. همست في أذنه بكلمات فضحكا ضحكة قطعها صوت المذيعة الداخلية وهي ترحب بالحضور وتدعوهم للتوجه للمقصف لتناول وجبة خفيفة قبل بدء الاجتماع
... ولج السيد "بيل" الى داخل المقصف متأبطا ذراع السيدة "هيلين" والقى التحية بطريقته الاستعلائية على الجالسين وهو يوزع الابتسامات صوب بعضهم ويصرفها عن آخرين...
همست "هيلين" :
(" ما دمت تبغضهم لهذه الدرجة فلماذا لا نستقصيهم من المنظمة؟")

تجاهل الاجابة على سؤالها وهو يهمس:
(" أحتاج لرحلة ترفيهية ... أفكر في زيارة جزر المالديف الأسبوع المقبل ... ما رأيك أن تأتي معي؟")
واستطرد دون أن ينتظر ردها:
(" اذن سوف نغادر في يوم الاثنين القادم ... سأمر عليك بنفسي لاصطحابك الى المطار")
في تلك اللحظة مرت مجموعة الأعضاء العرب بالقرب من طاولة السيد "بيل" فتسابقوا في إلقاء التحية والسلام عليه وكل يظهر رغبته في أن يجد حظوة لديه بينما راح من جانبه يرد عليهم بضجر لم يحاول اخفاؤه...

أعلنت المذيعة الداخلية عن قرب بدء الاجتماع الخامس والاربعين لمنظمة اكس وطلبت من الجميع التوجه لقاعة الاجتماعات الكبرى...
ظل السيد "بيل" ممسكا بيد السيدة "هيلين" وساحبا اياها الى جانبه ثم اطلق يدها وتوجه صوب مقعد الرئيس ...
اتخذ الجميع مواقعهم واعلنت المذيعة عن بدء الفحص الامني فوضع كل عضو من الأعضاء الاربعين المتواجدين بالقاعة ابهامه في شاشة مسح بصمة الإصبع ثم ركز كل نظره على كاميرا فحص بصمة العين وبعدها تم فحص بصمة الشفاه وبصمة الصوت ...
راقب السيد "بيل" نتائج الفحص الامني للاعضاء ... وبعد برهة اعلنت المذيعة الداخلية عن اكتمال الفحص الامني بنجاح بنسبة 100% ...
عقب ذلك تم عرض عام باستخدام تقنية الهولوغراف للاسقاط ثلاثي الابعاد مبينا مواقف ونتائج المهام التي ما زالت قيد التنفيذ وتلك التي اكتمل تنفيذها خلال الفترة ما بين الاجتماعين 'السابق والحالي'...
بينما تم عرض خاص ومخصص للسيد "بيل" عن الموقف المالي لكل عضو من الأعضاء الاربعين بالمنظمة والذين يحتلون المراكز الأولى بين اثرياء العالم...
حال انتهاء العرض العام افتتح السيد "بيل" النقاش بطرح موضوع البند الأول من الاجندة والخاص بتداعيات الحرب الروسية الاكرانو-امريكية على اقتصاديات المنظمة ...
وقد عقب على الموضوع كل من السيدين "اورستد" و"بلير" ... وبينما ركز السيد "اورستد" على ازمتي القمح والغاز تناول السيد "بلير" موضوع الدمار الذي لحق بالبنية التحتية لجزء من الاراضي الاوربية واقترح السعي لاقناع الطرفين لنقل الصراع العسكري الدائر بينهما الي مناطق وصفها بشبه المدمرة _اصلا_ واضاف :("لماذا لا يتم نقل المواجهة الحربية الي اماكن مثل السودان او اليمن أو أية دولة إفريقية؟ وبحسم نتيجة المعارك هناك يتم حسم الحرب دون هدر الموارد والبنيات التحتية المجهزة من جانب ومن الجانب الآخر دون تعريض السكان البيض للاثار السالبة لاستخدام الأسلحة المختلفة بغض النظر عن انواعها وامكاناتها او حتى اضرارها")
علت الهمهمات بين المجتمعين فقرع "بيل" بالمطرقة التي على طاولته ... تلك المطرقة التي تجعله يبدو كقاضي محكمة أكثر من كونه رئيس اجتماع لمنظمة!
... حين تم الاعلان عن فترة للراحة غادر المجتمعون القاعة..
عندها توجه السيد "لافي" ناحية مجموعة الأعضاء العرب فقال بصيغة الممازح / الجاد :
(" ابناء العم ابن الخادمة ، اليس من العار علينا ان نوافق على تطهير الأرض من دياناتنا واعراقنا لصالح هذا المشروع الجنوني؟")

وحدق في اعينهم التي اتسعت حدقاتها حتى صارت شبيهة باعين المها العربي...
استطرد "لافي" حديثه وبدى مستمتعا باذلال هؤلاء العرب الاثرياء:
(" لا عليكم... ارى الخوف قد تملككم ... هكذا هو حال سلالات العبيد ... لابد انكم الآن تتمنون لو لم تهدي امنا "سارة" جاريتها جدتكم "هاجر" لجدنا "ابراهيم" !!!... لكنني وكوني يهوديا فان ذلك يشعرني بالفخر ويعطيني شجاعة لانتمائي لشعب الله المختار")...
قال ذلك وغادرهم دون ان ينتظر منهم إجابة...
تبادل أفراد المجموعة العربية النظرات في صمت وابتلع كل منهم ريقه مرات متكررة لعل ذلك ينسيه مرارة الاهانة التي تلقاها للتو عبر كلمات ذلك اليهودي المتأنق...
عند عودة المجتمعون للقاعة همس السيد "نبهان" من المجموعة العربية بكلمات في اذن السيد"بيل" والذي اذاع للجميع بانه قد تلقى طلبا عاجلا من السيد "نبهان" لمداخلة من خارج اجندة الاجتماع وانه لاهمية الأمر يعطي السيد"نبهان" فرصة الحديث ...
سمع جميع من بالقاعة تنحنح السيد "نبهان" وصوت ازدراده لريقه مختلطا باصوات تنفسه الذي تسارع كتنفس فرس عاد للتو من سباق قطع خلاله المضمار لآلاف المرات!!!
مرت لحظة صمت والجميع يترقب والسيد "نبهان" عاجز عن الحديث فتضجر السيد "بيل" وقال موجها حديثه لنبهان :("لو لم يكن لديك ما يمكن أن يقال فارجو التراجع عن طلب المداخلة فنحن جميعًا ما عداكم - أعضاء العصبة العربية في هذه المنظمة - ندرك قيمة الزمن بل حتى أننا نختلف عنكم بأن ما كوناه من ثروات لم يتاتي الا بعد جهد جهيد ... حقيقة نحن نختلف عنكم وعند النظر من الجانب الاخر فنحن من يحفر ليستخرج بترولكم ويصدره ويدير اعمالكم ثم يضع لكم نصيبكم من المال في ارصدتكم ويحفظ لكم حساباتكم في البنوك ويجمع لكم الثروات .."ٍ)
سمع الجميع "نبهان" وهو يقول بصوت مرتجف:( " نقدر لكم سيدي الرئيس كل ذلك ... لكن ما تعاهدنا عليه في هذه المنظمة قد بات غير ذي معنى لدى بعضهم... فلقد استهجن السيد "لافي" امامي شخصيا وامام اخواني من العرب الرضا بما تعاهدنا عليه من أمر تخليص هذه الأرض من الدين واصحابه واتباعه...")
علت الهمهمات في القاعة وتوجهت الانظار نحو السيد "لافي" واضطر السيد "بيل" لطرق مطرقته عدة مرات لاجل استعادة الهدوء داخل القاعة...
ثم وجه السيد "بيل" سؤالا مباشرا للسيد "لافي" :
(" ما الأمر يا سيد "لافي" هل صحيح ما يوجهه لكم "نبهان" من اتهام ؟")
اتى صوت السيد "لافي" قويا واثقا وهو يوجه حديثه نحو جميع المجتمعين:
( " لا يخفى علي أي منكم ما ظللت اعانيه شخصيا ويعانيه كل من الزملاء من ذوي الاصول العرقية اليهودية من ازدراء واضح وحقد دفين ظل الزملاء من ذوي الاصول العربية في هذه المنظمة يواجهوننا به طوال الفترة الماضية واني هنا لاسال كل منكم فردا فردا:

هل قمنا نحن اليهود المنتمون لهذه المنظمة بتكوين كيانا منفصلا داخلها؟
هل افردنا لانفسنا جسما منعزلا عن البقية؟ ...
هل سبق لاحدكم ان سمعني او سمع احدا من اليهود الاعضاء يخاطب الآخر باللغة العبرية ؟ ...
هل سمعني احدكم او سمع أحدا من اليهود الاعضاء يستشهد بايات من العهد القديم او الكتاب المقدس؟...
لا أعتقد أن باستطاعة احدكم ان يكذبني إذا قلت بأن هذه الشرزمة من العرب سلالة الخادمة قد تعنصروا داخل هذه المنظمة وكثيرا ما نسمعهم يتحدثون بلغتهم العربية فيما بينهم ويستشهدون بماثوراتهم الدينية والشعرية...
اسمح لي اخي "بيل" ان ارفض الدفاع عن صدق ايماني بهذه المنظمة واهدافها ومبادئها التي قامت عليها واعفيني من الدفاع عن نفسي بنفسي أو الرد على هذا الادعاء ولكم أن توكلوا أي من الاخوة الزملاء كي ينوب بالدفاع عني في مواجهة ما ساقه المدعو "نبهان" ...
وشكرا سيدي الرئيس")
ساد القاعة صمت ... وسرت برودة في جسد السيد "نبهان" الذي تصبب عرقا ...
فرفع السيد"بيل" براسه ثم توجه بسؤال للسيد "غطفان" من المجموعة العربية :(" اخبرنا يا سيد "غطفان" بما تعلمه من اتهام الزميل " نبهان" لاخينا "الافي")
لم يفت على "غطفان" ما حمله المقطع (_الزميل_ "نبهان" _لاخينا_ "الافي" ..) من تحيز واضح جعله يدرك بأن الوقوف إلى جانب "نبهان" يعني اتخاذ الموقف الخاطيء ، ورنت في اذنيه عبارات الرئيس العربي الذي قال بالحرف الواحد بأن مجرد محاولة الوقوف والتصدي للاجتياح الاسرائيلي لقطاع غزة في حرب إبادتها للفلسطينيين بل أن مجرد استهجان ذلك الغزو يعتبر _انتحارا_ فتمتم "غطفان" في سره لاعنا الماركيز غابريال غارسيا الذي ألبس ذلك العربي المدعو "ابراهيم نصار" ثوباً من الاعتداد بالنفس جعله بطلاً لرواية (قصة موت معلن) والتي لو لم تنافسها رواية (مائة عام من العزلة) لنفس الكاتب لكانت سببا في ان يمنح الماركيز جائزة نوبل للادب...
انقطع سيل الافكار والمشاهد التي طافت بخيال السيد "غطفان" حين انتهره السيد "بيل" قائلا:
(" سيد "غطفان" هلا اتحفتنا بما لديك")
وجد "غطفان" نفسه يقول بصوت متحشرج:
( " سيادة الرئيس ... الاخوة الزملاء... صراحة لا يسعني الا ان استنكر ما ذهب إليه الزميل "نبهان" باتهامه الجائر للاخ "الافي" والذي لم أر او اسمع منه طوال فترة معرفتي به الا كل التزام بمباديء هذه المنظمة ...لا اخفي عنكم أنني وعدد من الزملاء العرب قد عقدنا اتفاقات شراكة وعهدنا الي مؤسسات السيد "الافي" بكثير من الأعمال التي تعود بمنفعتها علينا وعلى منظمتنا") ...

أسرعت "هيلين" بالخروج من باب فيلتها الواقعة على هضبة منخفضة العلو والتي يوحي منظر مشاهدتها لكل من يراها بانه يقف على اعتاب معبد هندي عتيق يفوح منه عبق الطيب والبخور ويختلط فيه صفار الزهر باحمرار الورود...
واخذت تقفز برشاقتها المعتادة على عتبات الدرج المؤدي إلى أسفل الهضبة وقد تدلت على كتفها حقيبة صغيرة اشبه بحقيبة طالبة في المرحلة الثانوية...
حين وصولها لاخر الدرج حيث توقفت سيارة السيد "بيل" ترجل السائق ليفتح لها باب السيارة فقفزت إلى جانب السيد "بيل" الذي استقبلها بذراعين مفتوحتين وابتسامة عريضة تدل على ما يغمره من فرح طفولي برؤيتها وحقا فقد كانت "هيلين" ممن تسر لرؤيتهم الأعين...
ورغم انهما لم يتبادلا حديثاً طوال الطريق إلى المطار إلا أن "بيل" قد ظل محتضناً يدها الرقيقة بكلتا يديه...
بعد بضع دقائق من بعد نزولها لدرج هضبة فيلتها أضحت علي ارتفاع خمسة وثلاثون ألف قدمٍ فوق مستوى سطح البحر على متن الطائرة الخاصة بالسيد"بيل" وهما في طريقهما لجزر المالديف...
اثناء الرحلة خطر لها أن تسأله لماذا لا يتزوجان فنظرت إليه ثم عدلت عن تلك الفكرة وقررت تأجيل ذلك السؤال لوقتٍ مناسبٍ آخر...
عقب هبوط الطائرة وخروجهما من المطار... التفت السيد "بيل" ناحيتها وهو مبتسم وقال :
( " لقد اعددت لك مفاجأة ... لن نذهب هذه المرة إلى الفيلا ... بل سوف نستاجر غرفة رخيصة في فندق مغمور")
ابتسمت وخطر لها أنه يمزح لكن حين تلفت خلفها ولم تر اثرا للحرس الخاص بكل منهما كما لم تر اية سيارة من سيارات السيد "بيل" اوجست خيفة لكنها وبرباط جاشها المعهودة لم تفقد ابتسامتها الساحرة بل لمعت عيناها بوميض وشعتا متوهجتين ببريق اخاذ وفي ذات اللحظة تراءت لها صورة والدتها وهي تهمس لها في آخر لقاء لهما:
( " حين تلوح اللحظة لفرصة ما حددي بنفسك طبيعة ما تريدين لكن لا تدعي تلك اللحظة تمر فاللحظة تحمل قبولا عاما لكنها لا تحمل تحديدا لأي امر معين ... وبكل اسف فبعضنا يترك تلك اللحظة تمر دون ان يشعر بها وبعضنا الآخر يجعل غيره من يحدد له الأمر المقبول فيها بغض النظر عن مدى توافقه الشخصي مع ذلك الأمر أما القلة فهم من يحددون الأمر الذي يناسبهم في ساعة القبول تلك حين تلوح"

ترجل السيد"بيل" والسيدة "هيلين" من سيارة الاجرة التي اقلتهما من المطار الي الفندق الذي قام باختياره السائق بعد ان طلب منه "بيل" ان ياخذهم الي فندق رخيص...
وحين دلفا إلى بهو الفندق غمرتهما الانوار الملونة التي زين بها البهو فتوجها الي موظف الاستقبال وطلبا غرفة بحمام داخلي...
لم يكن معهما حقائب سوى حقيبتين صغيرتين يحمل كل واحد منهما واحدة على كتفه...
صعدا إلى الغرفة وحين دخلاها تبادلا النظرات ثم ابتسما وفجأة انفجرا بالضحك...
قالت له بصوتها العذب:
(" يا للروعة... كم احبك")
تردد"بيل" لبرهة ثم قال:
(" اتقبلين الزواج مني بشرط؟")
ردت بلهفة:(" اقبلك مهما كان الشرط ")
فجأة انفجر "بيل" باكيا وسط دهشتها الشديدة...
اخذت "هيلين" تمسح على رأسه حينا وتربت على كتفه احيانا اخر... لم يسبق له ان إنهار باكياً ولم يضعف لا امامها ولا امام كائن من كان...
تركته يبكي ما شاء له من بكاء ولم تحاول أكثر من مسح راسه والربت على كتفيه ... وحينما سكت عن البكاء لم تسأله بل قررت ان تنتظر كي يتحدث من تلقاء نفسه...
جلسا مطرقين على حافة السرير في صمت لا يقطعه الا تنهدات يطلقها "بيل" بين الفنية والاخرى...
ثم مسح على عينيه وفركهما بكلتا يديه وابتسم ...
ناولته كأسا من الماء المثلج فارتشف منه رشفة وقال:
(" حبيبتي هيلين")
وحدق في عينيها الجميلتين بينما احست هي بقلبها يكاد يخرج من قفصها الصدري فرغم السنوات التي جمعتهما لم يسبق له قط أن نطق بكلمة حبيبتي...
اغمضت عينيها وتحدرت منها دمعتان - دمعة حارة من عينها اليسرى واخرى باردة من عينها اليمنى (علمت فيما بعد أن احداهما دمعة فرح والاخرى دمعة حزن وعرفت كيف يجتمع الحزن والفرح معا وفي آن واحد لدى الشخص نفسه) ...
قال"بيل":
(" لم يسبق لي أن بكيت منذ وفاة ابي وأنا في الخامسة من العمر...")
تنهد مطلقا زفرة حرى ثم قال:
(" لم يسبق أن اطلعت احدا على سري... لكنني الآن ابوح لك ...
قد لا تصدقين لكنها الحقيقة... ابي كان زنجيا اسود اللون")

قال ذلك وصمت واطرق برأسه فوجدت نفسها تحشر يدها تحت ذقنه لترفع رأسه فتلتقي اعينهما ... كانت كمن يريد ان ينقل رسالة ويصرح بالمؤازرة مهما كان الأمر...
ابتسم وعادت له نبرته الواثقة وراح يحكي لها عن طفولته وخجله كون اباه اسوداً رغم أنه كان مثل امه ابيضا كبياض الثلج ... وكيف اثر ذلك على نفسياته فآثر العزلة لدرجة أنه كان يوصف بالمتوحد ورغم كراهيته للون بشرة ابيه وشعوره بالخجل منها ومنه امام رفاقه الا أنه كان في دواخله يحمل له حبا كبيراً... وحين مات ذلك الأب الزنجي ترك له مالاً وفيراً كان قد كسبه من ممارسته ومهارته في لعبة كرة السلة...
اخبرها أنه بعد دفن جثمان والده طلب من والدته الانتقال به إلى ولاية أخرى لا يعرفه فيها أحد ، وتحت ضغطه والحاحه رضخت الأم فانتقلا الي ولاية أخرى وقام بحرق كل الصور والصحف والمجلات التي حوت صورة والده الزنجي وراح يعلق على جدر المنزل صورة جده لامه ويحمل تلك الصورة ليعرضها على رفاقه موهما اياهم بانها صورة والده ...
قال بشيء من الاسى:
(" لقد كان ذلك مؤلما لامي وكانت دائما ما تلومني وتذكرني بابي وبحبه لي وباجتهاده في جمع كل تلك الثروة لأجلي ... اذكر انها في احدى المرات قالت لي لقد ضحى ابوك بحياته من اجلك فقد طلب منه الأطباء التوقف عن ممارسة الرياضة لضعف في قلبه لكنه اصر على مواصلة اللعب والتدريب وكان يردد " من اين يجمع زنجي مثلي مالا لتأمين مستقبل ابنه من دون أن يخاطر بحياته؟ "")
صمت "بيل" لبرهة ثم سمعته يغني:
("
فوق الجميزة سنجاب ...
والأرنب يمرح في الحقل...
وأنا صياد اصطاد...
لكن الصيد على مثلي...
محظور إذ اني عبد")
انتصب "بيل" واقفا مادا ذراعيه وباسطا كفيه امامها فوضعت كلتا يديها على يديه ونهضت واقفة امامه فقال:
(" شرطي للزواج ان لا ننجب ما لم يتحقق أمران: الأول منهما ان يتمكن أحد فرقنا البحثية من الوصول للجين المسبب للون الأسود والتحكم فيه ... وثانيهما: ان لا يبقى على وجه الأرض من سلالة السود سواي")
غمغمت"هيلين":
(" موافقة حتى لو لم يبق على ظهر الأرض سوانا")

## الفصل الثالث

### [1.3] اليخت

سار اليخت الفخم متهاديا يعلو وينخفض مع كل موجة من موجات المحيط الممتد على مرمى الافق من جميع الاتجاهات وشمس الغروب تلقي بأشعتها كرماح دقيقة على السحب فتسيل دمائها وتصطبغ السماء باللون الأحمر القاني في بقع منها بينما تكتفي بقع أخرى بالاكتساء بلون خفيف الحمرة فتبدو كعذارى يستحين مما حولهن لكن يأبى احمرار خدودهن الا ان يفضح ما يخفينه من خجل...
القلق يساور القبطان اثر التقاطه عبر الراديو لتحذير من خفر السواحل بدنو عاصفة قد تبلغ قوتها ما لا يطيقه هذا اليخت الفاره... فامسك بالدفة وأخذ يجول بنظره في جميع الاتجاهات بعصبية ظاهرة كمن يبحث عن شيء ما بين كل تلك الامواج المتلاطمة ...
فجأة ظهرت سارية غواصة اخذت تعلو لتطفو علي سطح المحيط.
ادار القبطان دفة اليخت موجها اياه نحو تلك الغواصة...
وما هي الا دقائق معدودة حتى ارسى اليخت إلى جانبها...
وبسرعة جرت مبادلة انتقلت فيها سيدة جميلة المحيا رغم تخطيها منتصف العمر فغادرت الغواصة لليخت بعد ان القت التحية على كل من القبطان و زميلها الذي انتقل من اليخت للغواصة كما تم نقل عدة صناديق مختلفة الاحجام والاشكال والمحتويات من اليخت الي الغواصة وبالعكس...
توجه القبطان الى قمرة الركاب باليخت وطلب من تلك السيدة مناديا اياها بلقب "البروف" أن تلتزم الجلوس على مقعدها وعدم الخروج من القمرة لاحتمال نشوب عاصفة قبل الوصول إلى الشاطئ... وعند عودته الي مقدمة اليخت كان يتمتم:
(" ليتها تلتزم بالجلوس ...")
لكن ما أن امسك بالدفة حتى احس بشخص يقف إلى جواره فالتفت فإذا بالبروف واقفة بجنبه وهي ترمي بنظرها نحو الافق !!!

ما أن ابتعد اليخت قليلا حتى غاصت الغواصة بركابها في جوف المحيط كحوت ضخم...
على ظهر اليخت كان القبطان اخوف ما يكون بأن تدركه العاصفة وهو لا يزال بعيدا عن الساحل... وكان مما يزيد توتره تلك السيدة الملقبة بالبروف فقد عهدها دائمة الحركة قليلة الاكتراث بما يجري حولها من احداث فقد كانت دائمًا ما تتصرف بطريقة رغم تهذيبها لا تخلو من كثير جنون وغرابة اطوار...
رأينا أنه كان قد طلب منها البقاء بقمرة الركاب وحذرها من العاصفة لكنها سرعان ما لحقت به في مقدمة اليخت ...
كاد أن يصرخ في وجهها لكن شيء ما استوقفه.
خيل إليه أنه راها تخرج لسانا ازرقا مشقوق كلسان افعي وقد اصطفت من خلفه اسنان كاسنان حيوان مفترس... تراجع للوراء قليلا وافلت الدفة فمال اليخت بصورة مفاجئة قاذفا بتلك السيدة بين الامواج ...
صرخ القبطان :
(" يا للهول !!!")
وقبل أن يتمالك نفسه ويحكم امساك الدفة من جديد كان اليخت قد دار حول نفسه عدة مرات ... وكانت السيدة الملقبة بالبروف قد رحلت بعيدا مع الامواج...
أرسل القبطان نداء استغاثة وابلغ عبر جهاز الراديو خفر السواحل وسرعان ما كانت طوافات الانقاذ تضيء البحر بحثا عن المفقودة...
لكن سرعان ما علت الامواج واشتدت الرياح واخذت تزمجر وتزأر كاسد جريح...
اتت الاوامر للطوافات بالعودة الي القاعدة ... بينما هطلت الامطار بغزارة مع قاصف من الرعد والبرق يضيء الفضاء...
ظل اليخت اسيرا للامواج والرياح الغاضبة وبحنكة من خبر البحر وخاض المعارك مع عواتي العواصف كان القبطان يغير في خطط القيادة وتوجيه الدفة حسب مقتضيات احوال تلك المعركة بعد أن تخلى عن الاجهزة وراح يستخدم الخبرة والحنكة...
استمرت العاصفة لساعات طوال... وحين هدأت فجأة كما بدأت قاد القبطان اليخت إلى المرفأ...
كان رأس البروف حينما مال اليخت قد ارتطم باحدى الحواف المعدنية لهيكل اليخت مما افقدها الوعي حتي قبل ان تطير الي خارج اليخت و ترتطم بماء البحر...
وحين افاقت وجدت نفسها ممدة على سرير خشبي قصير وقد تحلق حولها عدد من النسوة قصار القامة شبه العاريات اذ لا يستر اجسادهن من اللباس سوى ثوب جعلنه حول اواسطهن...
كانت ملامحهن اسيوية بعيونهن الدقيقة وشعورهن المنسدلة الناعمة واصواتهن الحادة الجرسية...

علا الهرج في المكان وحاولت احدى النساء اجلاس البروف وهي تخاطبها بلغتها التي قدرت البروف بأن تكون لهجة من لهجات اللغة الصينية... وحينما حاولت البروف النهوض اكتشفت انهن قد جردنها من ثيابها ولففن وسطها بثوب من ثيابهن فانزعجت لذلك الأمر لكنها لم تبدي شيئا من انزعاجها لهن لكن احداهن بدت كمن قرأت ذلك الأمر فاشارت عبر كوة صغيرة بالحجرة التي كن بداخلها فرات البروف ملابسها وقد تدلت من حبل قدرتْ أنه لتجفيف الملابس باشعة الشمس...
واصلت تلك المرأة التي قد بدت عليها خيلاء الذكاء بث الطمأنينة في قلب البروف فجلست إلى الأرض واشارت عليها لتتبع ما سوف ترسمه... فرسمت البحر والموج ثم رسمت امرأة واشارت للبروف بما يعني أنك كنت غارقة في البحر ثم رسمت دولفين ومن ثم شبكت يداها أمام صدرها وشخصت ببصرها للسماء ... فتمتمت البروف بصلاة شكر لله واحست بدمعها ينهمر بغزارة وتذكرت انها لم تشكر الله منذ عهد بعيد....

راحت السيدة الملقبة بالبروف تجيل النظر متفحصةً ما حولها بعين خبير ألمعي ... ثم نظرت لتلك المرأة التي كانت قد تطوعت بإرشادها لملابسها وبيان ما قام به الدلفين من عمل بطولي لإنقاذها من الغرق و أشارت لها أن تجلس بقربها فأبتسمت المرأة ولكنها لم تجلس على السرير الخشبي حيث أشارت البروف بل جلست على الأرض عند قدمي الضيفة فمالت البروف ناحيتها وامسكت بيدها بين يديها وراحت تدقق فيها وكأنها قارئة للكف ! وبعد ذلك أشارت لها كي تفتح فمها ومرة أخرى راحت تدقق في فم وأسنان تلك المرأة ، بعد ذلك تلمست شعرها ثم أشارت لها كي تستلقي على ظهرها فوق السرير بعد أن نهضت عنه لأنها قد استنتجت أن مضيفاتها لا يجلسن على ذات المقعد مع ضيوفهن ... وبالفعل فقد نهضت تلك المرأة وتمددت على السرير الخشبي دون أن تصدر أي صوت أو تبدي أي إعتراض بينما وقف أخواتها مطرقات في صمت واحترام للسيدة البروف.

تفحصت البروف جسد تلك المرأة من جميع جوانبه وكانت مثل طبيب يفحص مريضا تضغط على هذا الموضع أو ذاك والمرأة المسكينة لا تظهر سوى الطاعة والأدب ... حين فرغت البروف من فحصها لتلك المرأة أخذت تتطلع في بقية النسوة الواقفات ثم أشارت لأحداهن كي تقترب وإعادت الفحص والتدقيق معها ثم مع ثالثة ورابعة ولم تقابل من أي من مضيفاتها إلا بكل إحترام وطاعة...

بعد انتصار قبطان اليخت على العاصفة ووصوله إلى الشاطئ قام بكافة الإجراءات اللازمة والتليغ عن الحادث كما اجرى اتصالا هاتفيا بمخدمه وما هي إلا دقائق معدودة حتى دخل عليه في المكتب السيد "بيل" برفقة زوجته السيدة "هيلين" وقد ارتسم على وجهيهما مزيج من القلق والإرتباك...

إبتدر السيد "بيل" القبطان بسيل من الأسئلة التي أجاب عليها القبطان بكل صراحة ووضوح غير أنه أخفى ما ظن أنه قد رآه من لسان أزرق مشقوق وأسنان حيوان مفترس لحظة إفلاته لدفة اليخت وقذف السيدة البروف بين امواج المحيط.

توجه السيد "بيل" باللوم والتعنيف لقائد فرق الإنقاذ الذي أمر الحوامات بالرجوع للقاعدة وطالبه بإخراج جميع طوافاته وسفن الإنقاذ وعدم العودة إلا بالبروف حية كانت أو ميتة.

لم تكن السيدة "هيلين" في دواخلها بالأقل انزعاجا من زوجها لكنها أظهرت رباط جأش وكثيراً ما لطفت من حدة هياج السيد "بيل" لدى محادثته لمن حوله بما كانت توزعه عليهم من ابتسامات تنسي من ينظرها ما أصابه أو لحق به من اهانة أو تشنيع أو غيره مما أقدح السيد "بيل" أثناء ثورته بتوجيهه لهم وفي ذات الوقت كانت تمسح على كف زوجها وتهدهد عليه كما تفعل الأم الحنون لإبنها...

ساعات إنقضت ولم يأتى خبر لا من الطوافات ولا من سفن خفر السواحل ومراكب الإنقاذ... فهمست "هيلين" في أذن "بيل" والذي إرتعش وأخذ يدير رأسه يمنة

ويسرى كمن فقد المقدرة على اتخاذ القرار فنهضت وأنهضته وسارا نحو مقصف القاعدة...
حين جلسا على طاولة اتختارتها "هيلين" أسرعت النادلة نحوهم لمعرفة ما يطلبونه وهي تمنى نفسها بأن يقال عنها أنها قد خدمت السيد "بيل" أغنى أثرياء العالم!!!
ظلت "هيلين" تمسح على كف زوجها بحنان بالغ ثم قالت:
(" يجب أن نحمد الله فكما قال القبطان أنه حمولة الرحلة لم يفقد منها شيئ وأن السيدة البروف لم تكن تحمل في يدها شيئاً ولم يكن معها أحد بل كانت لوحدها...")
قالت ذلك وصمتت لبرهة كأنها ترجو أن يستعيد زوجها رابطة جأشه ويتخطى هول الصدمة التي حملها نبأ غرق البروف...
بعد هنيهة من الوقت أضافت:
(" سوف يتم العثور عليها حية ... ألا تذكر نجاتها من ذلك الحادث الرهيب الذي أعتقد الجميع أنه قد أودى بحياتها ...")
أفتر ثغر "هيلين" عن إبتسامتها الساحرة فأغمض "بيل" عيناه كمن يخشى أن تجبره تلك الإنتسامة إلى نسيان مصابه.
من الجانب الآخر بعد أن تفحصت البروف أجساد جميع النسوة اللاتي كن معها في الغرفة طلبت من تلك المرأة الذكية والتي باتت تفهم ما تريده هذه الضيفة دون أن تتكلم معها إلا بلغة الإشارة أو العيون أن تحضر لها طفلا أو طفلة ...
وبالفعل أحضروا لها عددا من الفتيات والفتيان الصغار فتفحصتهم ودققت في أجسادهم الواحد تلو الآخر ... وبعد الفحص أرادت أن يستدعوا لها رجالاً لكنها هنا بدت كمن تخطت الحدود المسموح بها ولكنها بطريقة ذكية أعتذرت لهن ففهمن أنها قد ثابت لرشدها ...
أشارت إلى ملابسها فأسرعت إحداهن بجلب الملابس وتبعتها أخري جلبت جهاز الموبايل الخاص بالبروف حاملةً إياه بشئ كثير من الرهبة...
لم تكترث البروف للملابس بل خطفت الموبايل وابتعدت قليلا عن النساء ثم طلبت رقماً وسرعان ما أتاها الرد...
صاح "بيل" إنها تتصل ، وامطرها بسيل من الاسئلة:
(" أهذه أنت؟ ألف حمدا لله على سلامتك؟ من بطن أي حوت تكلميني؟ أرسلي الموقع") وفجأة سكت وراح ينصت وبدت السيدة "هيلين" كطفل يريد أن يطلع على ما يجري وما يدور من حوار بين زوجها والبروف...
أسرع كل من "بيل" و"هيلين" إلى مغادرة المقصف وتوجها إلى مكتب قائد القاعدة الجوية ، كانت "هيلين" متشوقة لمعرفة ما قالته البروف ولم تستطع مقاومة فضولها أكثر فطلبت من "بيل" أن يطلعها على ما سمعه في تلك المحادثة لكن لم يزد أكثر من عبارة أغرقت "هيلين" في بحر الحيرة بصورة لم تعهدها من قبل إذ قال "بيل":
(" إنه سر الجذب ألم تقرأي كتاب السر للكاتبة الاسترالية - روندا بايرن")
طلب السيد "بيل" من قائد القاعدة أن يبلغ الطوافات والسفن بالتوجه إلى الجزيرة التي اعطته إحداثياتها البروف وبعد أن يتم إجلاء البروف في الطوافة الأولى يتم جلب سكان الجزيرة جميعهم وايداعهم بسجن القاعدة لحين ترحيلهم لاماكن وصفها

"بيل" بالامنة ، مع التحذير بعدم التعامل المباشر مع أي من السكان حتى يتم التأكد من سلامتهم...
إنشرح وجه "بيل" وتأبط ذراع "هيلين" وقل أن يمضيا التفتْ للقائد وقال له :
(" شدد على الجنود بعدم التعامل المباشر مع هؤلاء القوم ... اذا احتجتني في شيئ فسوف اكون بالشاطئ لحين وصول البروف")
كانت "هيلين" تتحرق شوقا لإيضاح وكان "بيل" كطفل صغير فرح بهدية جميلة...
بعد أن وصلا إلى ساحل المحيط التفت نحوها واطلق ضحكة ثم قال :
(" كنت متيقنا أن وجهك الصبوح هذا سوف يجعلني أحمل لقباً جديداً وإذا به يجعلني أحمل ألقاباً كثيرة")
ولم يجعلها تنتظر أكثر فقال:
(" لقد باركنا الأله على ما يبدو ، فحسب ما قالت البروف أنها سقطت خارج اليخت لتحملها الدولفينات لأكثر من الخمسمائة كيلو متراً وتلقيها في جزيرة منسية قدرت أن سكانها يعيشون أعماراً من نيف ألف سنة أو أكثر وأنها سوف تتوصل من خلال تجارب سوف تجريها عليهم من كشف سر الخلود الذي ظلت تتبعه وتفكر فيه حتى تحقق لها بنظرية الجذب الوصول لمبتغاها")
سألت "هيلين" :
(" لماذا إذن لا تكتفي بعينة من هؤلاء الأبرياء وتدع البقية ولو من باب الإمتنان لما قاموا به نحوها")
رد "بيل" وهو يركل مياه المحيط برجله كما يركل الصبية الكرة:
(" كم أنت جميلة ورقيقة يا هيلين !! يجب أن نحتفظ بالجميع لحين الوصول بتجارب البروف لنجاح لا تقل نسبته عن ال 100% ولذا لن نفرط في أي منهم بل سوف ألمر بجلب حتى رفاة من ماتوا منهم...")
غمغمت "هيلين":
(" لقد بت أخافك يا حبيبي ")
فوقف كمن صعق بذلك وسألها :
(" لماذا؟")
فقالت بصوت خفيض:
(" قد تأمر البروف يوما بتشريحي للوصول لسر السعادة")
لمعت عيناه بوميض خاطف لم يفت "هيلين" إلتقاطه...

كنا قد تركنا الغواصة وهي تغوص في مياه المحيط بعد ان غادرتها السيدة الملقبة بالبروف وصعد إليها العالم الفذ الدكتور "مارتن" وقد كان ذلك قبيل العاصفة ببضع دقائق... وحين ارعدت السماء وابرقت دارت رحى الامواه تحت الموج فشكلت دوامات شهدنا ولمسنا اثرها في دواران اليخت حول نفسه بعد ان القى بالبروف خارجه ولكن تلك الدوامات التحت موجيه لعبت بالغواصة رغم ضخامتها فاخذت تدحرجها كما يدحرج الصبية الكرة...
حين قذف اليخت بالسيدة الملقبة بالبروف في الماء كان سرب من الدولفينات مارا في تلك اللحظة فتداعت دولفيناته لانقاذ السيدة واخذن ينفذن خطة انقاذ ليهزمن بها العاصفة فشكلن ما يشبه القارب بتلاحم بعضهن ثم حملن البروف فوق هذا القارب العجيب وفي ذات الوقت ظلت البقية تطوف حول هذا القارب للحيلولة دون سقوط المرأة النائمة فوقه والتي لم تيقظها تلك الاصوات التي اخذت الدولفينات في اطلاقها...
حوت اصوات الدولفينات موجات صوتية عالية التردد ادت لتعطل جميع اجهزة الغواصة وما بها من معدات فعم الظلام داخل الغواصة وفقد قائدها وملاحوها السيطرة عليها وعلا صوت القائد امرا الجميع بالتزام امكانهم والتوثق من ربط الاحزمة بعد ان اخفق في تشغيل المحركات الاحتياطية وصار كل ما يرجوه هو عودة الاجهزة للعمل من تلقاء نفسها بيد أن ذلك لم يحدث وظلت الغواصة تتدحرج مع مواصلتها السقوط نحو القاع...
أخذ الدكتور "مارتن" يسترجع العديد من الذكريات وتخيل أنهم صاروا كاتباع القبطان "ايهاب" ذو الساق الخشبية وهو يطارد الحوت الأبيض "موبي ديك" وارتعد لتلك الخاطرة فسفينة ذو الساق الخشبية لم ينجو منها غير الراوي... ولبرهة رأى الدكتور ذلك الهندي الأحمر الذي تنبأ للراوي بنجاته وموت الجميع اثر نداء "ايهاب" لهم بعد موته وهو ما حدث فعلا فعقب انسحاب البحارة من معركة تفوق فيها ذلك الحوت الضخم الذي سحب حبالهم ورماحهم وسحب معه القبطان "إيهاب" الذي استوثق بتلك الحبال إلى أعماق المحيط فاماته غرقا ثم صعد به للسطح فرآه البحارة كمن يلوح بيده وكأنه يستدعيهم فعادوا لنجدته لكن الحوت عاجلهم بتحطيم قواربهم وبعدها كامل سفينتهم قبل أن يمضى حاملا جثة ذو الساق الخشبية !!!
لعن الدكتور حظه فقد كان من المفترض ان تمت المبادلة بينه وبين البروف في الأسبوع القادم لكن تلك السيدة اعلنت عن رغبتها في هذه المبادلة لزعمها بوجوب حضورها احتفال عيد ميلاد صغيرتها... وهمس"مارتن" مخاطبا نفسه ؛" تلك المجنونة ما تفتأ كل ما التقتيها بأن تعيد لي قصة زوجها الزنجي وبناتها الثلاثة... رغم أنني لم أر أي منهم منذ أن التقيتها والى اليوم"...
ثم تنهد بحسرة وأغمض عينيه لكنه عاد ليفتحهما ويبحلق في الظلام من حوله فقد خيل له أن الهندي الأحمر يقف عند رأسه لكنه ليس هندي "موبي ديك" بل هندي

أحمر كان من أوائل من أجرى عليهم تجارب اختبار السلاح "الروبوتوبيولوجي" والذي استبدلت فيه الميكروبات بروبوتات "نانو/ مايكروية" تقوم بمهاجمة الخلايا وتحطيمها في أماكن متفرقة من الجسد دون أن تتأثر بكرات الدم البيضاء ولا بما ينتجه جهاز المناعة الطبيعية ... ولأول مرة ينتاب دكتور "مارتن" شعور بالأسى لتعاسة المصير الذي لقيه ذلك الهندي وما عاناه من عذاب... فتعجب "مارتن" لوهلة كيف له أن يتأسى على ذلك الهندي الأحمر والذي بفضل عذابه توصل العلم إلى تدقيق في عملية المكروبات الروبوتيه وهذا مما أعتبره هو ويعتبره معه الكثيرون نوع من التضحية البشرية لأجل العلم والمعرفة ، وتسائل في نفسه أليس من بين شعوب العالم من يقدمون القرابين البشرية سواء لكسب رضا الأله أو تجنب الكوارث التي قد تصيب المجموعة فيكون القربان فداء للكل!!

فجاة ارتطمت الغواصة اما بقاع المحيط او ببعض الشعب المرجانية...

وسكنت حركتا التدحرج والسقوط عقب تلك الصدمة وثبتت الغواصة...

كان القائد أول من تحرك متلمسا طريقه خلال تلك الظلمة حتى وصل إلى مصباحه اليدوي فأضاءه وحين وجه الانوار عبر كوة النجاة الزجاجية أطلق صرخة حانقة وهويقول:

(" تباً لقد طمرنا تماماً تحت جبالٍ من الشعبِ المرجانية")

## الفصل الرابع

### [1.4] القرية

شارف الليل على الإنقضاء والفجر على الشروق فامتطى ذلك الديك المميز بعرفه الجميل فوق أعلى قمة منزل في تلك القرية ثم بدأ بصياحه المعهود والذي يبدو متشابها في كل يوم إلا أنه في الواقع يختلف بما يخلفه من تعاظم غرور وخيلاء بالنفس لدى ذلك الديك...
أستيقظ السيد "دينق" ولم يفتح جفنيه في تلك العتمة فقد كان يعلم بأن خيوط الضوء ما زالت في الأعلى لم تحنى هامتها بعد لتنير له المكان كي يرى..
جال في خاطر السيد "دينق" سؤال عن أهمية أن ينحني الضوء ليلثم شعاع النور ثغر مولدته الجديدة والتي رغم عظيم سعادته بمقدمها لهذه الدنيا يخشى عليها من كل ما قد تكابده في مستقبل حياتها ووضع في ذهنه صورة لما أسماه قصة كفاح إمرأة ... فلم ينتبه وهو يسبح في بحار خيالاته إلا بصوت السيدة "ميري" زوجته الجميلة الفاتنة وهي تغني لصغارها:

طلع الفجر ...
وصاح الديك : صو صو...
جات القطة ...
قتلها بس بس...
قالت لي نو نو...

إبتسم "دينق" وهب واقفا بكل نشاط وحيوية وتطلع ناحية "ميري" وراح يتأملها ممشوقة القامة متناسقة الأعضاء يشرأب جيدها الطويل نوعاً فيكسبها جمالاً فوق الجمال... بدت كغصن من الأبنوس الأسود واتسعت ابتسامة "دينق" وهو يقول في دواخله حقيقة أنني أراها في ظلام الليل بنور قلبي والذي لولاه لكانت قطعة جميلة من بقع زمكان الظلام.
رغم حالك سواد بشرتها إلا أنها كانت تفوق "فينوس" جمالاً كما أن لها إبتسامة ساحرة تورث من يرآها سروراً يحسه حتى قالت إحدى نساء القرية يوماً :
(" إبتسامة "ميري" أنستني يوم رحيل زوجي الحزن حتى كدت اصاحب روحه وهي تصعد للأعلى بقفزي فرحاً حولها" )
جهزت السيدة "ميري" الأطفال للذهاب لتلقى العلم لدى حكيم القرية إلتي لم تعرف المدارس المعهودة في الدول المتقدمة بحسب وصف بعضهم ولا حتى المدارس المعهودة في الدول المتخلفة بحسب وصف آخرين...
أدارت السيدة "ميري" نظرها نحو "دينق" وخاطبته بصوتها الذي لا يقل جمالاً عن بقية صفاتها ومواصفاتها فقالت مداعبة:

(" كالعادة يا حبيبي فأنت آخر من يجيب نداء الديك ... أسرع فلقد جهزت لك كوبا من الشاي وغلفت لك إفطارك في قطعة من القماش إلى جواره... أسرع فقد خرج جميع الصيادين ولن تجد لنا ما نأكله إن تأخرت أكثر من هذا ")
لم يجيبها بل لوح لها مبتسما وأرسل لها قبلة عبر الأثير فأحست بأنفاسها تتسارع وكادت أن تطلب منه أن يبقى لكنها تذكرت بأنها اليوم قد طبخت آخر قطعة قديد حفظتها ولم يعد لديهم إدام فتحدرت منها دمعة بدت كلؤلؤة صافية تعكس أشعة بألوان الطيف ...
أخذت "ميري" تتابع بنظراتها زوجها الذي تمشق قوسه وحمل رمحه وهو يسير بطريقته التي يتكفأ فيها إلى الأمام ...
تمتمت ضارعةً لله أن يوفق زوجها وييسر له صيداً يوفر لهم المؤنة في هذا الوقت الذي قل افيه لصيد وجف الضرع وشارف المخزون من مؤنٍ على النفاد...
كان جميع أهل القرية يقاسون الأمرين فقد شح الصيد مما نجم عنه من بوادر لمجاعة وشيكة بعد تتالي سنوات من القحط لم تشهد القرية مثلها منذ عقود ...
جلس حكيم القرية وقد تحلق الأطفال حوله وكعادته بدأ برواية من رواياته اليومية وكانت روايته في ذلك اليوم عن النملة وما تظهره من جدٍ ومثابرة في عملها الدؤوب طوال فترة حياتها تنظيماً لعيشها وتخزيناً لغذائها واختتم الحكيم حديثه عن النملة فقال:
(" تذكروا أن النملة لم تخزن ما جمعته إلا بعد تحويله للصورة التي تحفظه فهى تقوم بقسمة كل حبة من الحبوب التي تجمعها قبل أن تخزنها إلى نصفين عدى حبة الكزبرة فإنها تقسمها إلى أربعة أقسام ")
وألتفت الحكيم إلى ناحية الصغير "فرانسيس" أبن السيد "دينق" سائلاً إياه:
(" لماذا قسمت النملة حبة الكزبرة إلى أربعة أقسام من وجهة نظرك ؟")
وقف "فرانسيس" بين يدي معلمه بكل أدب وأحترام وأجاب:
(" أرى أن النملة حين قمست كل حبة من الحبوب إلى نصفين قبل أن تخزنها ما فعلت ذلك إلا لمنع الحبوب من الإنبات وعلى ذلك يكون نصف حبة الكزبرة قابلاً للإنبات لذا قسمت النملة حبة الكزبرة لأربعة أقسام ")

## [2.4] الصيد

سار السيد "دينق" وأخذ يغذ الخطى خلف رفاقه الصيادين وهو يترنم بالأغنية الخالدة في ثرات الزنوج :

("فوق الجُميزةِ سنجابٌ...

والأرنبُ يمرحُ في الحقلِ

وأنا صيادٌ وثابٌ ...

لكن الصيد على مثلي...

محظورٌ اذ اني عبدُ...

والديكُ الأبيضُ في القنِ

يختالُ كيوسف في الحسنِ

وأنا أتمنى لو أني...

أصطادُ الديك ولكني

لا أقدرُ إذ أني عبدُ...

وفتاتي في تلك الدارِ

سوداءُ الطلعة كالقارِ...

سيجيئُ ويأخذها جاري

يا ويحي من هذا العارُ!

أفلا يكفي أني عبدُ ؟ ")

فجأة خطر له أن يفارق الجماعة ويستكشف طريقاً جديداً فأنحرف عن الدرب الذين قد اعتادوا سيره كل يوم وأخذ يسرع حيناً ويهرول أحياناً أخرى وطوال الوقت ينظر حوله بعيون نسرٍ ويتسمع بمرهفِ السمع وقد استجمع كل مشاعره وأحاسيسه حتى لكأن روحه كلها قد إنكمشت متجمعة في نقطة واحدة...

هرول وركض ما شاء له وفجأة عنَّ له على الأفقِ سرب ظباء !!!

توقف وجمد للحظة ...

فرك عينيه ...

وأخذ يتقدم بحذر شديد وقد شحذ قوسه ...

قدر المسافة وصوب ... لا يجب لسهمه أن يخطأ ... دعا ضارعاً لله أن يوفقه قبل أن ينطلق السهم في سرعة البرق ليصيب قلب أحد الغزلان ... لحسن حظ "دينق"

ظل ذلك الغزال واقفاً بشجاعة فلم يثر أمر أصطياده ريبة ولا فزعاً بين ظباء ذلك القطيع ... وأنطلق سهم ثانٍ تتبعه دعوات صادقات خرجن من شغاف قلب السيد "دينق" وتكررت المعجزة وظل الظبي واقفاً وهكذا قدر لـ "دينق" أصطياد ظباً بعدد ما في جعبته من سهام ثم تقدم وألقى برمحه ليصطاد ظبي آخر قبل أن يتنبه القطيع لحقيقة ما يجرى فينطلقوا فارين من موتٍ صامتٍ زوئام...
كان عدد الظباء التي تم أصطيادها أحد عشر ظبياً فما كان بوسع السيد "دينق" وحده حمل كل ذلك الصيد إلى القرية ... بيد أنه لو ترك شيئاً وراءه فقد تأتي المفترسات والجوارح قبل عودته فلا يجد له أثراً بعدها...
كان السيد "دينق" من أولئك الذين يؤمنون بأن البيئة المحيطة دائماً ما تحتوى على كل ما يلزمك لأنجاز ما تسعى إليه شريطة أن تفكر بحكمة وروية لذلك أخذ يجيل ببصره في كل ما حوله وما هي إلا دقائق معدودة حتى كان يجر ورائه زحافة صنعها من بعض غصون وسيقان الشجيرات وفرشها ببعض أوراق الشجر ثم وضع فوقها كل ما قد أصطاده ومضى بكل ذلك نحو القرية وهو يترنم:

إني صياد وثاب وأنا حرُ
من منع الصيد على الحُرِ...
هاأنا أصطادُ كما أبغي
وكما أوصاني من قبلي ...
"لا تقتل أماً من صيدٍ
أو ما لا تحتاجه بالفعلِ"

من منع الصيدعلى مثلي...
فأنا أصطاد لأجل أبي ...
ولأجل الجائع في الحقلِ...
من مكن قوسي في الظبي...
الله ... له حمدي ...
وله شكري...

في تلك الليلة وبعد أن تقدم ديك القرية ليؤدي طقوسه اليومية من صياح وغرور وغطرسة أجال الديك بناظريه ثم عدل عن ذلك كله وأخذ يعدو بأقصى ما يمكنه من سرعة متوجها إلى خارج القرية...
بكت المولدة الصغيرة في بيت السيد "دينق" وقامت السيدة "ميري" بإيقاظ زوجها وهي تهمس في شيئ من الخوف والحزن:
(" حبيبي ... أنهض رجاءً ... أنهض أرجوك")
تململ "دينق" وراح يفرك عينيه وقال:
("ماذا هنالك يا حبيبتي ؟")
جلست "ميري" على حافة السرير وأوقدت السراج...
فتح "دينق" عينيه فإذا ببصره يقع على طائرٍ صغيرٍ مكسور الجناح وقد أخذ يحاول ويجاهد الطيران دون أن يقوى عليه ولم يرتفع عن الأرض قيد أنملة ...
تذكر "دينق" بانهم في موروثاتهم يعتبرون أمراً كهذا نذير شؤم قريب فأخذ يربت على كتف زوجته ليهون عليها الأمر وهو يقول:
(" ليس هنالك من مشكلة ... سوف أضمد لهذا المسكين جراحه وما هي إلا أيام قليلة يعود بعدها ليحلق من جديد في فضاءات الدنا ")
قال ذلك ومد يده يلتقط الطائر ويخاطبه قائلاً :
(" لقد كنت محظوظاً يا عزيزي فلو كنت هنا قبل أيام لكنت وجبة شهية رغم صغر حجمك ... أحمد الله فقد أصطاد "دينق" وحده عشرة ظباء أمنت لكل القرية مؤنتها من اللحم لوقت طويل")
واصلت الصغيرة بكاؤها كما ظلت السيدة "ميري" جالسةً على حافة السرير ولم تنجح كل كلمات زوجها وحاني ربته علي كتفها من إعادة الطمأنينة إلى قلبها...
ألتفت "دينق" وقد ساوره الشك بأن هنالك أمر غير ما بدا له من مجرد تشاؤم بطائر فعاد يسأل زوجته بشيئ من القلق:
(" ما الأمر؟ ماذا هنالك يا حبيبتي؟ هل تشتكين من شيئ؟")
نظرت "ميري" إليه بعيناها التي غطتهما الدموع وقالت:
(" لقد حلمت لبالي متوالية بهم ... يحضرون إلى القرية ... يقتلون الرجال ")
وأجهشت بالبكاء...
فأخذ يربيت على كتفها بلطف ويقول :
(" إنها مجرد هلوسات يا عزيزتي ... هوني عليك ...")
هزت "ميري" رأسها بعنف وقالت:
(" لا ليست هلوسات ... ")
وأضافت:
(" لم يسبق لي من قبل أن رأيت في منامي شيئاً ولم يتحقق... ليتها تكون هلوسات ... ليت حلمي يخيب هذه المرة...")

قال "دينق" :
(" لماذا يقتلوننا ؟ ماذا فعلنا لهم ؟ هذه أرضنا ورثناها عن أسلافنا لم نبارحها ولم ننازعهم في شيئ مما ورثوه من أرض أوثروات")
همست "ميري":
(" لقد قلت لهم في تلك الأحلام مثل ما تقول أنت الآن... كانوا دائماً يعيدون نفس العبارة " لماذا تعيشون إذ لا قيمة لحياتكم ؟ نحن نستمتع بتقتيلكم وبأخذ ثروات الأرض التي لم تعرفوا كيف تستغلونها؟ " وكانوا أحياناً يضيفون :" إذا كان أجدادنا قد أبقوا على حياتكم لتكونوا لهم عبيداً وتقوموا بخدمتهم فنحن لا نحتاجكم إذ لدينا روبوتات تخدمنا و تفعل لأجلنا أضعاف ما تفعلونه أنتم فلماذا نبقيكم لمشاركتنا في القليل الذي كاد أن ينضب من موارد هذا الكوكب ؟ ")
فجأة علا صوت أزيز الرصاص وفاحت رائحة البارود مختلطة برائحة الدم...
سقط "فرانسيس" الصغير عند باب غرفة والديه برصاصة أخترقت ظهره مستقرةً في البطين الأيمن من قلبه ...
شهقت "ميري" وسقطت بينما قفز "دينق" ليحتضن جسد "فرانسيس" الصغير لكنه لم ينجح إذ غارت مجموعة من الرصاص المنطلق من بندقية أحد القتلة في مناطق كثيرة من جسده من قمة رأسه إلى أخمص قدميه وتناهى لـ" ميري" صوته وهو يقول:
(" لم نطلب منهم شيئا هو لهم ... لم نعتدي عليهم فلماذا يتنمرون علينا ويحرموننا حقنا في الحياة ؟")

# حكايات من زمن المحن

## الجزء الثاني

## الجزء الثاني – الفصل الأول

### [ 1.1 ] دعوة من مجهول

تجاوزت الساعة منتصف النهار بدقائق قليلة ...
كان الجو ينذر بالمطر وقد تلبدت السماء بالغيوم التي حجبت الشمس عندما اخذت أجرُ خطواتي جراً نحو ذلك المطعم الذي دعاني مجهول لم يفصح لي عن هويته لتناول طعام الغذاء فيه ... صراحةً لولا ما كنت اعانيه لحظتها من شظفِ العيش وسوء وتردي احوالي المادية لما قبلت تلك الدعوة لتناول الطعام مع ذلك الذي يرفض الافصاح عن شخصيته ...
في الطريق إلى المطعم كنتُ افكر في مدى جدية ذلك المجهول وتمنيت ان لا يخيب ظني وان يكون جادا في دعوته فقد مضى يومان لم اتذوق فيهما طعاما !!!
تسائلت في سري هل يمكنني التعرف علي مضيفي؟

ترى من يكون ؟

وماذا يريد مني ؟

وما الذي يدعوه لدعوتي؟

دلفتُ الي المطعم وتوجهت مباشرةً الى مكتب المشرف المالي والاداري للمطعم وبعد إلقاء التحية سألته ان كان يوجد حجز باسمي...
وما أن نطقت باسمي حتى رحب ذلك المسئول بشخصي بحفاوة بالغة جعلتني أشعر وكأنه قد عدني شخصية هامة (في أي بي VIP) واشار للنادل واوصاه بأن يقوم بخدمتي وتلبية جميع طلباتي...
تملكتني الدهشة وأنا أسير خلف النادل الي الطاولة المخصصة لغذائي...
وما أن جلست على المقعد حتى حضر اداري المطعم ووقف امامي بكل احترام والأبتسامة تضيء وجهه وقال:

(" إنه لشرف عظيم لمطعمنا أن يستقبل سيادتكم...")
لعل الدهشة التي انتابتني لحظتها والتي شعرت بها تغطيني من رأسي حتى قدمي قد اثارت الريبة في دواخل ذلك الرجل ولكنه وبحنكة من يتقن فن " كيف تنال رضا العميل "، تصرف بلباقة فاخرج هاتفه الجوال واستاذنني في إجراء اتصال بصديقي بينما في الواقع اتصل على رقم هاتفي وما ان سمع رنين الهاتف في جيبي حتى زالت جميع الشكوك التي كانت قد اخذت طريقها لقلبه فبدا عليه الارتياح واعتذر بانه بدلا من الاتصال بصديقي اتصل برقم هاتفي... ثم اعاد الاتصال برقم صديقي او بالاحرى ذلك الشخص الذي دعاني لتناول تلك الوجبة...
حال إنهاء المحادثة عاد المسئول ينظر الي وهو يقول:
(" لقد اوصانا صديقك بالقيام بكامل واجب الضيافة بميزانية مفتوحة... لكنه لظرف طارئ يعتذر عن الحضور وسوف يرسل لكم السيارة بعد ساعة من الآن...")
قال ذلك واردف قبل ان ينصرف:
(" أتمنى أن نوفق في خدمتكم وان ينال ما نقدمه اعجابكم...")
واتبع ذلك بابتسامته الوضاءة وتوجه عائداً نحو مكتبه...
عاد النادل ومعه المنيو لكافة أصناف الواجبات والسلطات والحلويات والمشروبات ... وازدردت لعابي وأنا افكر من اين أبدأ والي أين انتهي وسمعت بطني تصدر أصواتا وكأن معركة حامية الوطيس قد اندلعت بين جنباتها...
اخذت ابحلق في المنيو وراحت نظراتي تتقافز بين القوائم المختلفة وشعرت بدوار خفيف يتملكني...
سمعت النادل يسألني:
(" هل أنت بخير يا سيدي؟")
فجأة نسيت أمر جوعي ووجدتني امسك بمعصم ذلك النادل وأنا اقول:
(" هل سبق ورأيت صديقي؟")
تملكتْ المسكين بعض الدهشة لكنه لم يحاول تخليص يده من قبضتي فقد اوصاه مديره أن يعاملني بصورة خاصة...

ابتسم في وجهي وقال:

(" نعم وكيف انساه فقد حضر أول مرة قبل شهر او نحو من شهر وجلس على ذات الطاولة التي تجلس عليها الآن وامسك بيدي تماما كما تفعل الآن ...")

فتنبهتُ لفعلتي فاعتذرتُ للمسكين وأنا اطلق سراح يده ثم اردفت:

("حقيقةً أنا آسف.. لكن هل لك أن تصفه لي؟")

واصل الرجل حديثه:

(" بالامس حضر صديقك وقام بالحجز وقد حملني وصية أسلمها لك ..")

قال ذلك واخرج من جيبه دفتراً صغيراً ومعه مغلف فضي اللون سلمني اياهم ثم عاد ليسأل من جديد:

(" بماذا يمكننا خدمتكم سيدي؟")

حملتُ الدفتر والمغلف وأدخلتهما في الجيب الداخلي لمعطفي ثم نهضتُ واقفاً وأسرعتُ خارجاً من المطعم ...

بدى لي الأمر محيراً ومربكاً بعض الشيء فاسرعتُ الخُطى نحو المنزل وسرتُ تحت زخات حبات المطر الذي انهمر عقب مغادرتي للمطعم ...
ما أن ولجتُ غرفتي حتى اخرجتُ ذلك الدفتر والمظروف اللذين اعطانيهما النادل...
لم اكترث لما اصاب ملابسي من بلل فجلست على طرف السرير وفتحت الدفتر...
كانت الكتابة واضحة وقد خطتْ بخط جميل وبصورة منسقة وقد كانت في مجملها مذكرة يوميات تتخللها بعض السطور التي حوت معادلات كيميائية وصيغ لسلاسل لما ظننته لحظتها لمركبات عضوية او ما شابه...
بعد عدد من الصفحات بدت المذكرات كقصة يتحدث فيها الكاتب عن لقاءات جمعته بمن اسماه الفيلسوف ويتابع السرد ليضمنه ما كان يدور بينه وبين بناته الثلاثة من حوارات ...
كنت متعبا ومنهكا لعدم تناولني لأي طعام خلال اليومين الماضيين فتمددت على ظهري فوق السرير دون ان ارفع عيني عن المذكرات او اتوقف عن القراءة...
لا ادري كم مضي من الوقت ولكن الظلام الذي زحف متسللا الي مخدعي قد جعل القراءة متعذرة... ورغم ذلك فقد ظللت ممسكا بالدفتر والظرف الفضي وشعرت بالنعاس يغالب عيوني والاسترخاء يسري في جسدي...
سمعت طرقا على باب الغرفة وبوثبة واحدة وصلت الي الباب وما ان فتحته حتى تسمرتُ من الدهشة والرعب فقد كان واقفاً امامي ذلك الفيلسوف الذي تحدث عنه صاحب المفكرة متأبطا حقيبته الجلدية الصغيرة وقد وقفتْ الي جواره من قال عنها كاتب المذكرات بانها صغرى بناته...
نظرتُ اليهما باستغراب ودهشة ممتزجتان بشيء من التوجس والذي تحول الي رعب جامح بعد ان فتحت تلك الصغيرة فمها مخرجةً لساناً ازرق مشقوق كلسان افعى وقد اصطفت من خلفه اسنان كاسنان حيوان مفترس!!!

احسست بشيء يضربني على صدري فنهضت مذعورا لانتبه لحقيقة أن الأمر لم يكن سوى حلم...
قفزت الي طرف الغرفة لانارة المصباح وما ان عم الضوء حتى وقع بصري على المفكرة والمظروف الفضي وقد سقطا على ارضية الغرفة امام السرير...
جلست متهالكا على المقعد المجاور لمقبس الكهرباء ووضعت رأسي بين راحتي ورحت اتسائل عن الحدود الفاصلة بين الحقيقة والحلم ...

كان نومي في تلك الليلة متقطعا تخللته الكثير من الاحلام المزعجة والكوابيس والهلاويس...

استيقظتُ وأفقت بصورةٍ تامة عقب ارتفاع الشمس بمقدار رمح فوق الافق مما جعل حزماً من أشعتها الذهبية تتسلل إلى داخل غرفتي...

فجأة تذكرت المظروف الفضي الذي تسلمته مع دفتر مذكرات ذلك المجهول بعد ان فشلت في التعرف علي هويته التي لم يفصح عنها في مذكراته كما أن ذاكرتي عجزت تماما عن الربط بين خط كاتب تلك المذكرات وبين خطوط كل من عرفتهم او زاملتهم طوال سنوات حياتي!!!

التقطت المظروف وقمت بفضه فوجدت بداخله رسالة مقتضبة وبطاقة إئتمان مالي (كريدت كارد credit card ) باسمي ، اما الخطاب فقد كان كالاتي:

(" سيدي المهدي

او المخلص

او المختار ...

باي اسم منها تسميت ...

أسهم معكم بهذا المبلغ اليسير الذي اودعته لكم في هذه البطاقة والتي يمكنكم الحصول على بقية معلوماتها ورقمها السري من ذات النادل بالمطعم ..

متمنيا لكم التوفيق في انقاذ البشرية...")

وجدتني اغرق في الضحك وقلت مخاطبا نفسي:

(" لقد استجاب المولى دعائي الذي اقتبسته من دعاء سيدنا موسى عليه السلام..:

. رب إني لما انزلت الي من خير فقير.

فها هي ليلة القدر تاتيني ببطاقة مالية ذهبية !")

وقبل ان اخرج لاستلام معلومات البطاقة من النادل رحت اتسائل:

"من منا المخلص أنا ام هذا المجنون الذي وضعته الاقدار في طريقي .؟"

ما أن ولجت إلى داخل المطعم حتى استقبلني موظف الادارة بابتسامته المضيئة وترحابه الذي يجعلك تحس بانك شخص مقدر ومرموق...

وبعد التحية قادني الى ذات الطاولة وهمس لي :

(" تسعدنا خدمتكم دائما سيدي... بالامس وعقب ذهابك حضر صديقك ووضع لكم رصيدا في هذا المطعم حيث يمكنك تناول ما شئت متى شئت ومع من شئت...

نتمنى ان تنال خدماتنا رضائكم")

انصرف الاداري ليحضر النادل حاملا المنيو وبعد التحية سلمني مظروفا فضيا جديدا من صديقي المجهول...

هذه المرة طلبتُ ما لذ وطاب من المأكولات والمشروبات والحلويات واكلتُ بتؤدةٍ وأنا أستمتع بكل قضمة اقضمها او رشفة ارتشفها لاحتفي واحتفل بتحول حظي العاثر الذي لازمني في كل ما مضى من عمري والذي كما يبدو قد انعكس كما يقولون مئة وثمانون درجة...

كان المبلغ المالي بالبطاقة كبيرا لدرجة اذهلتني فاخذت اتسائل عما إذا كنت لا أزال حياً في ذات كوكب الأرض ام أنني قد متُ وانتقلتُ للدار الاخرة او ما إذا كنت قد نقلتُ لكوكب آخر...

لم أجد تفسيرا منطقيا ولا حتى تفسيرا غير منطقي لما يحدث!!!

## [ 4.1 ] التلفاز

مرت أيام تبدلت فيها حياتي فبجانب المال الوفير في بطاقة الائتمان التي امتلكتها ووجبات الطعام الفخمة التي انتظمتُ في تناولها في ذلك المطعم والذي ما ان ادخله حتى اصير محل حفاوة وترحاب من الجميع...

نمتْ صداقة بيني وبين موظف الادارة من جانب وبيني وبين النادل من الجانب الآخر...

حاولت جاهداً ان اتحصل منهما على بعض المعلومات والتفاصيل التي يمكن أن تساعدني في جلاء سر صديقي المجهول ولكن كلما وصفوه لي او حدثوني عنه كلما زادت حيرتي وجهلي به... فقررت ان اتوقف عن محاولة كشف سر هذا الصديق المجهول واستبدالها بالبحث عن سر تسميته لي بالمهدي او المختار او المخلص وطلبه او دعاءه لي بالتوفيق في تخليص البشرية...

اعدت قراءة تلك المذكرات عدة مرات ...

تفحصت المعادلات والصيغ الكيميائية التي وجدتها مكتوبة بين صفحات ذلك الدفتر... صراحةً قضيتُ اوقاتاً وانا اتطلع في تلك الرموز واخاطبُ المجهول حينا واضرعُ لله أحيانا أخرى كي ييسر لي فهم واستيعاب ما يجري...

اشتريتُ جهاز تلفزيون واشتركتُ في عدد من القنوات الفضائية ...

اتفقتُ مع صديقي مدير المطعم ان يرسلوا لي وجباتي بنظام الدليفري وكطلب خاص ان يرسلوها مع صديقي النادل...

صار النادل جليسي في وجباتي وسميري في وحدتي ...

ذات نهار أتاني النادل بوجبة الغذاء ولكن على غير عادته إعتذر عن الدخول وقد ظهر علي نظراته شيء من القلق...

سالته بصوت مضطرب فقد تبادر لي وخطر ببالي أن تكون الوديعة المالية المخصصة لطعامي قد نفذت أو أوشكت على النفاد فسألته:

(" ما الأمر؟ ماذا هنالك؟")

نظر الي لبرهة ثم قال بصوت يشوبه الاضطراب:

(" لقد حضرت اليوم إلى المطعم...")

وسكت ...

اقلقني صمته فعدت لسؤاله:

(" من التي حضرت؟")

تردد برهة ثم اخرج مظروفا فضيا ناولني له وهو يرتعش ويهمس من بين شفتيه:

(" سلمتني له لاوصله لكم")

ورغم ان الشكل المميز للمظروف يدل على صلته بصديقي الغامض الا أنني سألت النادل:

(" من التي سلمتك المظروف؟")

فهمس بصوت متهدج:

(" تلك الطفلة ذات اللسان الازرق المشقوق واسنان الذئب")

قال ذلك واستدار بسرعة ثم ولي هاربا...

كنتُ قد تعلمت مما عانيته في رحلة بؤسي ان المفاجآت يمكن دائماً أن تؤجل لما بعد الأكل ...

لذلك وضعتُ المظروف الفضي على طرف الطاولة لحين الانتهاء من متعة الأكل...

حين فضضتُ المظروف عقب انتهائي من الاكل كانت بداخله ورقة بيضاء خالية رحت اقلبها ، ارفعها واخفضها ، اقربها من الضوء والنار ... لكن لم يكن على تلك الورقة من شيء البتة...

لغز جديد...

ترى من هؤلاء المجانين؟ وكيف اعتقدوا بأنني "شرلوك هولمز" او حتى "المحقق توقو موري عم المحقق كونان"؟

اضجعتُ على الاريكة الوثيرة التي اشتريتها من ما توافر لدي من مال وأمسكتُ بجهاز التحكم من على البعد ثم اخذت اتنقل بين القنوات الفضائية... وفجأة ظهر على شاشة احدى القنوات صورة ذلك الفيلسوف الذي رأيته في منامي متأبطا حقيبته

الجلدية الصغيرة والي جواره الطفلة ذات اللسان الأزرق المشقوق واسنان الذئب والتي خيل لي انها قد راحت ترمقني من خلال الشاشة ثم رفعت رأسها  واشارت نحوي بيدها ملوحة كمن تطلب مني اللحاق بهم...

احسست ببرودة تسري في اوصالي ورعشة تمتلكني فسقط جهاز التحكم من يدي وانغلق التلفاز ...

## [ 5.1 ] الرحلة

صبيحة اليوم التالي لمشاهدتي للفيلسوف وذات اللسان المشقوق على شاشة التلفاز حزمتُ حقيبةً صغيرة بعد أن وضعت بها بعضاً من الاغراض ثم توجهت صوب محطة الحافلات السفرية....

اتصلت من داخل الحافلة السفرية بصديقي النادل واخبرته بأنني سوف اتغيب عن المدينة ليومين فطلب مني ان أأخذ الحذر والحيطة وراح يدعو لي بالتوفيق والسلامة...

انطلقت المركبة واخذت تعب الأرض مسرعة نحو وجهتها...

اخرجت تذكرة السفر وتمعنت فيها وتذكرت تلك الحادثة التي تروى عن بروفيسور "آينشتاين" فقد قالوا بانه كان مسافرا بالقطار وحينما اتاه مراقب التذاكر راح يبحث عن تذكرته في محفظته ولما لم يجدها بدى عليه الانزعاج وراح يفتش جيوبه دون ان يجدها حينها قال له المراقب مهونا:

(" بروفيسور آينشتاين كلنا نعلم من تكون كما نؤمن بأنك ما كنت لتصعد للقطار بدون شراء تذكرة فهون عليك ")

واصل مراقب التذاكر عمله ففحص تذاكر بقية الركاب وقبيل مغادرته لتلك المقطورة نظر ناحية البروفيسور فوجده لا زال مواصلا البحث تحت المقاعد عن التذكرة التي اضاعها فاشفق عليه وعاد راجعا ليطيب خاطره فقال:

(" ثق يا بروف باننا جميعًا نعلم بانك قد اضعت التذكرة ولاشك في ذلك")

فرد "آينشتاين":

(" أجل... أجل ... اعلم انكم لا تشكون في ارتكابي لمخالفة لكنني ابحث عن التذكرة حتى أعرف منها وجهتي التي اقصدها في هذه الرحلة")

ابتسمتُ ونظرتُ في التذكرة وتسائلتُ ترى ما هي وجهتي في هذه الرحلة؟

اخذتُ اتصفح في مجلةٍ التقطتها من مكتبة صغيرة علي رصيف محطة الميناء البري قبيل صعودي للحافلة...

كانت الموضوعات رتيبة مملة مما افقدني التركيز فيها فرحتُ اتطلع من خلال نافذة الحافلة...

لا ادري كم مضى من الوقت منذ بدء الرحلة ولا كم من مسافة قد قطعنا حينما رفعتُ تلك المجلة وقد انفتحتَ على صفحةٍ عشوائية ... ما أن وقع نظري عليها حتى وجدتني انهض كالملسوع ... توجهت الي السائق والذي حينما طلبت منه السماح لي بالترجل عن الحافلة استغرب ذلك واخبرني بانه لا توجد في هذه المنطقة مدينة ولا قرية ولا بشر يقطنونها لكنني طمأنته واوضحت له بأنني سوف انتظر رحلة العودة غد في نفس الموقع الذي اترجل فيه الآن...

بعد ان تخلفت في تلك البقعة من الأرض عن الحافلة والتي ما أن ابتعدت عني حتى انتابني احساس عميق بالوحدة...

انحنيت ووضعت تلك المجلة على الأرض بجانب طريق الاسفلت ثم وضعت فوقها بعضاً من الحجارة كي تمنعها من الحركة قبل ان اعبر الطريق لابدأ رحلتي نحو المجهول.

## الجزء الثاني – الفصل الثاني

### [ 1.2 ] البروف

كنا قد تركنا المستر "بيل" رئيس منظمة أكس واغنى اغنياء العالم مع زوجته الفاتنة "هيلين" وهما يترقبان وصول طوافة الاغاثة التي طارت لانقاذ السيدة "البروف" كما يسمونها...

كان "بيل" في تلك اللحظات لا يخفي فرحه بنجاة "البروف" كما لا يداري قلقه وتشوقه لوصولها لذلك تراه تارة مبتسما كطفل صغير وللحظات أخرى تحسه كمن اوشك ان ينفجر غضبا... على عكس الجميلة " هيلين" التي ظلت رابطة الجأش تسحر الالباب بابتسامتها الجذابة...

حال هبوط المروحية هرول المستر "بيل" ليستقبل "البروف" والتي لم تكن أقل سرورا منه ولكن لسبب مختلف ...

بعد السلام وفي وسط مظاهر الاحتفال بنجاة " البروف" تقدمت تلك السيدة وزجت بنفسها بين الزوجين واضعة ذراعيها على كتفيهما وهي تقول:

(" على الرغم من أنه لم يمض على وصولي الا ثلاثة دقائق وخمسة وثلاثون ثانية الا أنني قد سمعت بخبر زواجكما...

أتمنى لكما السعادة من كل قلبي..")

قالت ذلك ثم جذبت إليها رأس"هيلين" وهمست لها بحديث في اذنها انفجرت السيدتان ضاحكتين على اثره...

وضحك المستر "بيل" لكنه لم يضحك لما اضحكهما بل كانت ضحكته تعبيرا حقيقيا وصادقا عن انتهاء لحظات القلق والترقب والانتظار...

التفتت البروف ناحية الملتي ملياردير "بيل" وقالت بصوت ونبرة من تعود على اصدار الاوامر :

(" كما قلت فقد علمت خلال الدقائق الماضية على قلتها بالكثير من الاحداث التي وقعت أثناء فترة غيابي...
لكن لا اريد أن ينتشر خبر العينة البشرية التي التقطتها...
يجب أن يظل امرهم سرا لا يصل للعالم... ")
ضحكت "هيلين" ضحكة مقتضبة وقالت من بين اسنانها:
(" خيرا تعمل ... شرا تجني")
فردت البروف:
(" مازلت طفلة يا جميلتي الصغيرة...
في سبيل العلم تهون التضحيات...
وبالمناسبة اليس كافيا لهم ان اغلبهم قد عاش لأكثر من الالف عام؟")
بدا شيء من الامتعاض على وجه"هيلين" فقالت:
(" اتوافقين من أجل العلم ان تصير أي من بناتك الثلاثة عينة في مختبر تجاربك؟")
تكدر وجه السيدة البروف وانحدرت منها دمعة تركتها تسيل دون أن تخفيها او تمسحها ومن بين دموعها قالت:
(" أنت طيبة ورقيقة جداً يا صغيرتي...
صراحة لن اتوانى حتى عن ذبح ثلاثتهن بيدي هاتين لإجل العلم...
لا تعتقدي حبيبتي "هيلين" انني قاسية او متحجرة القلب فالله وحده يعلم مقدار حبي لهن لكن ذلك لا يمنعني من التضحية بهن من أجل تحقيق هدف سامي يخدم البشرية")
احتدت نبرة "هيلين" وهي تقول:
(" أي هدف اسمى من حياة الإنسان؟
وعن أي بشرية تتحدثون؟
من الذي يعطيكم الحق لحرمان الآخرين من ممتلكاتهم وثرواتهم وحياتهم لاجل اطماعكم ونزواتكم؟")
تدخل المستر "بيل" ليقول:

(" حبيبتي هيلين هوني عليك ...
الأمر ليس بالسوء الذي تتصورينه...
لقد دأبت البشرية على تقديم القرابين ...
أنظري فحتى عند المتدينين من البشر تجدين المسيحيين يؤمنون بأن الاله قد قدم إبنه قربانا وتجدي المسلمين ينحرون الهدي والاضاحي شكراً لله وقرباناً بعد أن كان الإله قد أمر جدهم "ابراهيم" بذبح إبنه "اسماعيل" ثم فداه بذبح عظيم...")
هتفت "هيلين" وهي تشير الي المحيط المترامي أمامهم...
(" ها هم قد اتوا؟")
فركض الجميع نحو المرسى بينما اقتربت سفن خفر السواحل وكلما تناقصت المسافة التي تفصلهم عن الشاطئ كلما تعاظمت ابتسامة كل من السيدة "البروف" والمستر "بيل"...

## [ 2.2 ] المستر لافي

أحدثتْ الجميلة "هيلين" ثورة في حياة المستر "بيل" والذي لم يعد يفكر الا في كيفية ارضائها والتقرب والتودد إليها...

حقيقة لقد اضحى السيد "بيل" عاشقاً ولهاناً مدلهاً بحب زوجته الفاتنة "هيلين" والتي توفقت في ايقاظ ذلك الزنجي الطيب في دواخل زوجها حتى صار كثيرا ما يترنم بانشودة ايليا ابوماضي:-

("فوق الجُميزةِ سنجابٌ...

والأرنبُ يمرحُ في الحقلِ

وأنا صيادٌ وثابٌ ...

لكن الصيد على مثلي...

محظورٌ اذ اني عبدُ...

والديكُ الأبيضُ في القنِ

يختالُ كيوسف في الحسنِ

وأنا أتمنى لو أني...

أصطادُ الديك ولكني

لا أقدرُ إذ أني عبدُ...

وفتاتي في تلك الدارِ

سوداءُ الطلعة كالقارِ...

سيجيئُ ويأخذها جاري

يا ويحي من هذا العارُ!

أفلا يكفي أني عبدُ ؟ ")

وقف السيد "لافي" او اليهودي المتأنق كما يسميه رفاقه في 'منظمة اكس من أجل مستقبل مشرق' ، وراح يتطلع ناحية العاشقين وفي نظراته شئ من حقد تميز به حتى جرى منه مجرى الدم من العروق...

مرت دقائق كن بثقل الجبال على قلب ذلك اليهودي الماكر...

ما ان ابتعدت الجميلة "هيلين" عن زوجها قليلاً حتى تقدم "لافي" بخطواته الوثابة كنمر يثب لينقض على الفريسة... وما هي الا ثواني حتى كان قد وقف أمام السيد "بيل" وابتسامته الخبيثة توحي بفرح وسرور...

ابتدر "لافي" الحديث مهنئا ومباركا للسيد "بيل" زواجه من الرائعة "هيلين" ثم أردف في مكر:

(" رغم ثقتي الكاملة في رجاحة عقلكم وحصافتكم الا أنني أقول كما يقول الاخوة أعضاء المجموعة العربية مقتبسا من قرآنهم:

" وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين"

وما تذكرتي التي اقولها لك الآن الا بالمثل الفرنسي الشهير

("ابحث عن المرأة")..."

في تلك اللحظة عادت "هيلين" والتقطت كلماته الاخيرة فعلقت:

(" اواه أخي "لافي" أخيرا اظهرت حسن اطلاعك ولكن هذه المقولة والتي تنسب للقائد "نابليون بونابرت" قد اوضحها بنفسه حين قالها حتى لا يحسب المتسرعون انها محاولة للانتقاص من قدر المرأة او ربطها بالفتن والمؤامرات فقد قال : " أبحث عن المرأة فانها تهز بيسراها مهد الطفل وبيمناها العالم")

عقب "لافي" ضاحكاً ومظهراً المزيد من التودد للزوجين :

(" دوماً حاضرة ومتألقة اختي "هيلين" حتى احسبك يهوديةً أُماً عن أب")

فردت "هيلين" بشيء من التهكم:

(" كلنا شعب الله المختار").

استأذن"لافي" وانصرف...

عندها سمعت "هيلين" تنهيدةً أطلقها زوجها كمن ازيح عنه هما اثقل على صدره فابتسمت وأخذت تربت على كتفه فقال في سرور:

(" هدهديني حبيبتي فأنا طفلك في المهد ...

هدهديني بيسارك وهزي الدنيا بيمناك كما هززتِ قلبي وعقلي وكياني ...")

من على البعد كان "لافي" المتأنق يطلق مع نظراته نيراناً لو لم تكن من بعدٍ آخر من ابعاد العوالم الكونية الموازية والتي نعيشها لاحرقتْ الزوجين...

## [ 3.2 ] السيد غطفان

أعلنت المذيعة الداخلية في مقر 'منظمة اكس من أجل مستقبل مشرق' للسادة الأعضاء عن قرب بداية جلسة الجمعية العمومية للمنظمة ودعت الحضور للتوجه للمقصف لتناول طعام الغذاء قبل الاجتماع...

كان كل عضو من الأعضاء يعرج قبل الجلوس على طاولته ليهنيء الزوجين: "بيل وهيلين" - بزواجهما ويتمنى لهما اطيب الامنيات - ..

عندما تقدم السيد "غطفان" من المجموعة العربية لتهنئة العريسين وضع امامهما على الطاولة صندوقين من صناديق الهدايا كتب على كل اسم المُهدى إليه وقال مبتسما:

(" مبارك زواجكما...

أتمنى قبول هذه الهدايا البسيطة والتي تستحقان ما هو أفضل منها...

اتشوق لأن أرى ولي العرش "بيل الابن" قريبا ")

مثلت "هيلين" دور من ينشغل بفتح صندوق الهدية بينما كانت تراقب من طرف خفي تعابير وجه زوجها والذي ظهر عليه الامتعاض الشديد من كلمات السيد "غطفان" ...

صرخت "هيلين" بصوت منخفض:

(" واااو ...

يا للروعة...

انظر حبيبي لما اهداني له هذا المتخلف...

لاشك ان ثمن هذا العقد الماسي لا يقل عن نصف المليار...")

قالت ذلك ورفعت العقد الماسي فتلألأت الانوار براقةً فلم يقو "بيل" بعدها على الصبر ففتح صندوق هديته ليجد تلك الماسة التي طالما تمنى شراؤها لكنه لم يفعل لارتفاع ثمنها مع أنه يعتبر الاغنى في العالم!!

همست "هيلين":

(" الآن يا حبيبي تجلت حكمتك لرفضك الاصغاء لي يوم سألتك: -

ما دمت تمقتهم لهذا الحد لماذا لا تفصلهم من المنظمة؟..."")

واردفت:

(" كنت سوف اضيع هذا العقد الغالي على نفسي واضيع علي زوجي العزيز هذه الماسة")

رغم فرحته بالهدايا لم يخفي "بيل" استياؤه من "غطفان" وهمس مخاطبا زوجته الجميلة:

(" الم يكن من الامثل لهذا الغبي ان يهتم بشؤونه ويترك لنا أمر تحديد سلالتنا وولي عرشنا؟")

خطر لهيلين ان تمازحه في ذات السياق لكنها عدلت عن ذلك وامنت على قوله :

(" نعم أن هؤلاء المتخلفين دائما ما يحشرون انوفهم فيما لا يعنيهم...

الا توافقني أن هذا العربي كان سوف يكون أكثر نفعا للبشرية لو تبرع بثمن هذه الهدايا للجياع او المرضى او... "

وصمتت هنيهة وابتسمت وهي تضيف:

(" او للبحث العلمي الخاص بالقضاء على "الإنسان الذي نعرفه" لمصلحة ما بعد الإنسان الذي تسعى مؤسستنا العظيمة للوصول إليه")

لم يفت على "بيل" الاستهزاء الواضح من جانب زوجته الجميلة باهدافٍ كان قبل زواجهما يقتل من يحاول الاستخفاف بها... لكن وكما يقولون فان الحب غلاب ...

نظر اليها نظرة كلها حب و قال:

(" ليته تبرع بها لصالح الأطفال الجياع في إفريقيا ")

وقبل أن تفغر الجميلة فاهها دهشة لما سمعت، علا صوت المذيعة الداخلية طالبة من الحضور التوجه لقاعة الاجتماعات...

## [ 4.2 ] هيلين الجميلة

عقب الخروج من اجتماع الجمعية العمومية للمنظمة تأبطت "هيلين" ذراع زوجها وقد بدا عليها الاعياء الشديد....

لم يفت على السيد "بيل" ملاحظة إعياء زوجته فانتابه القلق وتضاربته الافكار والمخاوف ...

لم تشتكي كما لم يجد في نفسه الجرأة لسؤالها...

ما أن صعد الزوجان في السيارة حتى اجرى "بيل" اتصالا بمستشاره الطبي وطلب منه موافاتهم في الفيلا ...

تلقى "بيل" اتصالا من السيدة "البروف" والتي طلبت مقابلته على جناح السرعة لكنه اعتذر بسبب ظرف زوجته الطاريء ولكن ما قالته محدثته من الطرف الآخر جعله يشعر برعشة من اصيب بصعقةٍ كهربائية ففغر فاهه وقطع المكالمه وراح يحدق من نافذة السيارة حيناً ثم يلتفت الى زوجته أحياناً أخرى...

عندما وصلا الفيلا ترجلا من السيارة لكن "هيلين" لم تقو على السير فتشبثت مستندة بباب السيارة وهي تقاوم السقوط فاسرع زوجها لحملها بين ذراعيه كطفلةٍ صغيرة... طلبت منه ان يمددها على الاريكة... فارقدها بكل رفق وجلس الي جوارها على الأرض...

لم يجرؤ على الحديث كما لم يستطع من منع الدمع الذي انهمر من عينيه...

بدت "هيلين" الجميلة كأميرة نائمة... بينما تسمر "بيل" كتمثال متحجر لولا تقاطر الدموع من مآقيه...

اخذت الافكار والاسئلة تتدافع وتتزاحم على رأس "بيل" وكانت كلمات السيدة "البروف" التي حين اعتذر لها بحالة زوجته الصحية فعلقتْ بسؤاله:

(" هل هي حامل؟")

فأخذ ذلك السؤال يتكرر صداه داخل عقل السيد "بيل" و اذنيه...

تارة يتذكر ما اشترطه علي هيلين قبل الزواج بأن لا ينجبا أطفالا ما لم يتم الكشف والقضاء على جين السلالة الزنجية...

ولكن شعورا جميلا واستحساناً لفكرة ان زوجته قد تكون حاملاً وأنه على وشك ان يصبح أباً بدأت تجد لها مكانا بين افكاره...

فراح يحدث نفسه:

(" أجل ... لا يهم كون أبي كان زنجيا...

لا ... لا ... ليس لذلك ادنى اهمية...

قد يكون حظ ابني مثل حظي فيولد أبيض اللون كبياض الثلج مثلي ومثل أمي ... ابيضاً جميلاً كزوجتي الجميلة "هيلين"...

وفرضاً حتى لو أتى إبني زنجياً اسود اللون كلون أبي فمن يجرؤ على الهزو منه أو استحقاره؟ ")

وأخذ يعنف ويلوم نفسه على تنكره لأبيه الذي جمع له أصل كل هذه الثروة بل والذي أحبه كثيراً ليتنكر هو له بعد وفاته بسبب لونه ... يا لها من سخافة...

لم يدر كم مضى عليه من وقت وهو جالس الى جوار الأريكة التي مدد عليها حبيبته لكنه أفاق من أفكاره فجأةً على صوت الطبيب وهو يقول:

(" للرب ما أعطى وللرب ما أخذ")

صرخ "بيل" صرخة عظيمة قبل أن يسقط مغشياً عليه فوق جثمان "هيلين" الجميلة...

## الجزء الثاني – الفصل الثالث

### [ 1.3 ] الغواصة

كنا في قد تركنا الغواصة وقد طُمرتَ تحت الشعب المرجانية في أسفل تلك البقعة من المحيط بعد ان تعطلت جميع اجهزتها...

كان الكابتن متوتراً وطلب من المهندسين تنفيذ خطة الطواريء وطلب من الدكتور الذي اتي بديلا للسيدة المسماة بالبروف ان يبقى هادئا ريثما يتمكن هو والعاملون معه من إصلاح الاعطال التي حلت بالغواصة ، وعندما استعلمه الأخير عن ماهية تلكم الاعطال اجابه بازدراء وكره شديد:

(" لابد ان ما اصابنا نتج عن سيىء اعمال من يعتقدون أن البشر خدم لهم...")

فقال الدكتور:

(" الناس للناس من بدوٍ وحاضرةٍ ... بعضٌ لبعضٍ وان لم يشعروا خدمُ")

لم يكترث الكابتن بما قال الدكتور ومضى إلى غرفة التحكم والتي قد غرقت في ظلام دامس واختفى داخلها...

رجع المهندس الذي تم انزاله لغرفة الخروج الطاريء بعد ان عجز عن فتح البوابة المؤدية إلى خارج الغواصة ...

فاستشاط الكابتن غضبا وأخذ يتلفظ بفاحش الالفاظ في حق زملائه ومرافقيه بل طال سبابه ارباب عمله في 'مؤسسة اكس من أجل مستقبل مشرق' ...

لقد كان من الواضح للجميع ان الرجل اما أن يكون قد افرط في الشراب أو قد اصيب بلوثة من الجنون...

وفجأة توجه نحو الدكتور ووجه له لطمة قوية اطاحت به في ارضية الغواصة...

عندها هجم اثنان من الملاحين على كابتنهم وقيدوه وهو يسب ويلعن ويصدر التعليمات ويتوعد...

ثم بدأ الكابتن يغني اغنية جزيرة الكنز ويردد :

(" أربعة عشر رجلاً ماتوا من أجل صندوق")

ثم اعقب ذلك بموجة من الضحك وهو ينادي على "جون سيلفر" قبطان جزيرة الكنز...

بعدها انتحب الكابتن نحيبا مرا ونعى نفسه وجميع من معه...

ثم غط في نوم عميق...

بدأت نسبة الاكسجين تقل في هواء الغواصة...

اخذ بعضهم في السعال بصورة متواصلة...

تحسس الدكتور فمه الذي سالت دماءه اثر لطمة الكابتن... وراح يتذكر كم مضى عليه من عمر لم يتعارك خلاله مع احد...

فجأة وجد الدكتور نفسه يتذكر ذلك اليوم الذي مرت فيه الغواصة بغابات الطحالب النتروجينية والتي قد تصل في اعدادها الى ملايين الملايين في كل وادي من اودية البحر المسجور الذي تلتهب فيه نيران الحمم البركانية تحت مياه المحيط...

وتحسر وهو يتذكر ما قاله له السيد "بيل" حين اخبره عن تلك الثروة الغذائية الهائلة التي لو تم استغلالها لما وجد الجوع سبيله لانسان فوق ظهر الأرض وكيف أن"بيل" قال له بكل صفاقة:

(" نحن لا نسعى لاشباع الناس بل من أكبر مصلحتنا ان يجوعوا")

ثم أردف:

(" جوع كلبك يتبعك")

تحسر الدكتور انه حينما هم ان يقول للسيد"بيل" ما قاله ذلك الاعرابي عندما مر بجثة الحاكم صاحب تلك المقولة:

(" لربما جاع الكلب يومًا فاكل صاحبه!!!")

تذكر الدكتور بانه لم يقل ذلك للسيد "بيل" لخوفه من ان يطرده ذلك المتعجرف من العمل بالمؤسسة وبالتالي يحرم من مواصلة ابحاثه المتخصصة والمخصصة للاسهام في مشروع "**إنسان ما بعد الانسان**" والمكرسة لدراسة اثر البيئة المائية العميقة علي الكائنات المعدلة جينيا ووراثيا....

فجأة عادت اجهزة الغواصة للعمل فنهض الدكتور من ارضية الغواصة وهو يصيح فرحاً...

(" لقد عادت الاجهزة للعمل ..

هيا يا رفاق...")

لكن احدا لم يجبه!!!

وعندما تفقد الرجال بالغواصة كانوا جميعًا في عداد الموتى!!!!

تملكت الدكتور "مارتن" الحيرة وعند تفقده للاجهزة تبين له جهله التام حتى بكيفية إرسال رسالة استغاثة عبر تلك الأجهزة فتنهد عميقاً ثم جلس الي جهاز الكمبيوتر وبدأ في كتابة آخر مذكراته الي أورد فيها :

" لقد أتت نتائج التجارب تحت اعماق المحيط بنتائج مختلفة عن التجارب التي أجريت في المعامل الفضائية (سكاي لاب) وتلك التي اجريت في المعامل تحت سطح الأرض فجميعها قد أتت مغايرة لما تم التعارف عليه في قانون "وحدة التشابه في الكون" وكانت الاختلافات عميقة عند التجريب على بعض الكائنات المعدلة جينيا وكما سجلنا في تجربة الديدان المعدلة والتي قادت في الفضاء لبروز رأس إضافي في الطرف الآخر للدودة فقد قادت تجارب تحت المحيط الى بروز جذع إضافي واخيرا اتت تجارب الاعماق السحيقة تحت الأرض لانكماش او اندماج الرأس والجذع معا في كرة دودية!!! ..")

بدأ الضغط الجوي داخل الغواصة المطمورة تحت الشعب المرجانية في التغيير بطريقة مستغربة بحيث يزداد الضغط فيحس الدكتور "مارتن" بأن رأسه على وشك الإنفجار ثم يعود الضغط طبيعياً لبرهة ينخفض بعدها فيحس الدكتور بقلبه يكاد يخرج من صدره...

توجه الدكتور إلى حجرة القيادة في الغواصة وتمتم :

(" إن كان هلاكي قد اقترب فلن يعفيني ذلك من محاولة السيطرة على هذه الغواصة والأبحار بها ")

وأخذ ينشد:

أنت يا بحر أسير آه ما أعظم أسرك!

أنت مثلي أيها الجبار لا تملك أمرك

أشبهت حالك حالي وحكى عذري عذرك

فمتى أنجو من الأسر وتنجو؟

لست أدري

وبكل ما امتلك من قوة زحزح جثامين الملاحين التي كانت قد تكدست بتلك الغرفة... ثم جلس وقد قرر أن يحاول تحريك تلك الغواصة وهو يلعن جهله بالترميز الذي حمتله أزرار التشغيل في منصة القيادة وعلى جميع المفاتيح التي يمكنه الوصول إليها وتمتمم لاعناً السرية والحيطة والحذر الذي يجعل البعض يقررون ترميزاً لا يفهمه إلا من أرادوا له أن يفهمه ...

قدر المخاطرة الكبيرة التي قد يحملها أسلوب التجربة والتعلم بالصواب والخطأ إذ أن بعض الأخطاء لا يمكن أن يعقبها تتبع للخلف يمحو آثارها ...

تذكر دكتور " مارتن" ذلك الفتى المدمن للمخدرات والذي كان يلتقيه في طريق عودته في العديد من المرات وكيف كان ذلك الغائب عن العقل يغني قائلاً:

(" كدا كدا بايظه ...

بايظه ... بايظه

ما كدا كدا بايظه ...")

غمغم الدكتور :

(" ما كدا كدا بايظه")

ثم ضغط على أحد الأزرار...

بعد الدوي الهائل الذي نجم عن انفجار تلك الغواصة سبحت في مياه المحيط أنواع متباينة من الجراثيم والكائنات والمخلوقات العجيبة فاخذت الأسماك والحيتان والاحياء المائية تفر من أمامها في ذعر ظاهر فاضطربت المحيطات والبحار والأنهار وخرجت أنواع من البرمائيات من بينها لتعوس فساداً في البرية !!! ....

صعقت السيدة المدعوة بلقب "البروف" عند تلقيها اتصال السيد "بيل" والذي اخبرها فيه بوفاة الجميلة "هيلين" فهرعت الي فيلا الزوج المفجوع والتي عندما وصلتها كان الجميع في حالة من الاضطراب والفوضى...

بسرعة دخلت "البروف" إلي الغرفة التي أُسجي فيها جثمان "هيلين" فوجدت "بيل" جالساً على الأرض وقد سال الدمع غزيراً من مآقيه...

لم تدر تلك المرأة لأول مرة في حياتها ما يجب أن تفعله فتسمرت وراحت تنقل نظرها بين جسد الراحلة الجميلة وبين ذلك الزوج الباكي الحزين...

بعد مضي برهة من الزمن تنبه السيد "بيل" لوجود "البروف" فتحامل على نفسه لينهض ويسير نحوها ... خطر ببالها وهي تراه يتقدم نحوها انه قد بلغ فجأة ارذل العمر !!!

وقف السيد بيل امام "البروف" وراح ينظر إليها من بين دموعه نظرة من يستنجد بها ثم قال:

(" ارجوك افعلي شيئا لاجلها...

اعيدي لها الحياة ...

وسوف اتنازل لك عن كل ثروتي... فقط رديها الي ...")

فتحت المرأة ذراعيها واحتضننته كأم حانية واخذت تمسح شعر رأسه تارة وتربت على كتفه وظهره تارات اخرى...

اخذت الذكريات تتقاذف رأس "البروف" فتذكرت بناتها الثلاثة وزوجها الزنجي الذي لا تشك في أنه لابد وأن يكون قد مات الآف المرات حزناً منذ أن تلقي نبأ مصرعها في ذلك الحادث المفجع ... وانحدرت دموعها وهمست وقد ترائت لها صورة زوجها :

(" ايها الزنجي المسكين... كيف حالك؟")

احست بارتعاش تملك السيد "بيل" وسمعت منه شهقة عظيمة فقد خيل له أن "البروف" تعلم عن اصوله العرقية وقال في نفسه لابد أن "هيلين" قد اخبرتها بسره ... تعجب "بيل" بانه لم يحس بالغضب تجاه زوجته المتوفاة بل راح يكرر كطفل صغير وبالحاح واصرار ما طلبه من تلك العالمة باعادة زوجته للحياة...

اخذت "البروف" الطلب بصورة جادة وتسائلت في نفسها لماذا لم تفكر في أمر مماثل من قبل فرغم انشغالها بالبحث عن سر الخلود لم تفكر يوما في اعادة الحياة لمن توفوا !!!

عجبت وهي تتذكر في أنهم قد قاموا بتصنيع إجهزة بديلة لتحل مكان الأعضاء المبتورة وتتلقى بصورة طبيعية الاشارات العصبية وتتجاوب معها كما كان يفعل العضو المبتور تماماً ولكنهم لم يطوروا ذلك لفكرة إعادة الحياة للمتوفين.

وطاف بمخيلتها "فرانكشتاين" ذلك الميت الحي والذي تم تجميعه من ثمان جثث... ثم فجأة ولو هلة خاطفة خيل "للبروف" انها قد رأت دون ان يكون لكاميرا او "جهاز كيرليان " وجود لحظتها بل رات بأم عينيها الهالة المحيطة بجثة "هيلين" قد اخذت تومض بقوة ...

بلا وعي منها وجدت السيدة "البروف" نفسها قد ازاحت السيد "بيل" عن حضنها واسرعت لتجلس بالقرب من رأس الجثة وتهمس لها بصوت لم يفت على "بيل" سماعه:

(" تشجعي حبيبتي "هيلين" ... لا تستسلمي ولا تفارقينا ... الله قد جعل هذا الامر ليكشف لنا السر العظيم...")

لم يتمالك السيد "بيل" نفسه فسأل "البروف":

(" اتحدثينها وهي ميتة؟؟؟

فهل تسمعك؟")

التفتت "البروف" ناحيته وقالت:

(" ما أنت باسمع منها")

## الجزء الثاني – الفصل الرابع

### [ 1.4 ] الأرض الغفر

بعد ان ترجلتُ عن الحافلة السفرية في ذلك المكان القفر وبعد أن وعدتُ السائق بانتظار رحلة العودة في نفس الموقع الذي غادرتهم فيه وكما ذكرتُ سابقاً فقد طمرتُ المجلة التي كنت احملها تحت الحجارة بالقرب من حافة طريق الاسفلت ثم عبرتُ الشارع وبدأتُ في السير والركض حتى كادتْ انفاسي أن تتقطع واحسستُ بشيء من التعب حينها لاحت لي على خط الافق نقطة سوداء يترفع منها شعاع ضوء بألوان الطيف وامضاً نحو السماء لا تحجبه أشعة الشمس و تجاريه سطوعا...
اخذت اركض نحو تلك البقعة من الأرض وحينما اقتربت منها رأيت أمراة سوداء كلون القار وقد وقفت منتصبة وامامها ديك لا يقل عنها خيلاء وزهوا وجمالا...
كانت تلك المرأة تحمل بيمناها طفلة صغيرة سمراء اللون كحواء... وبيسراها رمحا كلما ركزتْه إلى الأرض تطايرتْ الاشعة الباهرة نحو السماء ملونةً بالوان الطيف وقد تمشقتْ قوساً وكنانة بها عشرة سهام...
عندما وقفتُ بين يديها سحرتني ابتسامها الاخاذة ثم رفعتَ تلك السيدة راسها نحو السماء وتكلمتْ كمن يخاطب شخصا في السماء لكنني لم افقه كلمةً مما قالت اذ تكلمت بلغةٍ لم افهمها ... بيد أن صوتها كان عذباً ذو رنةٍ لم اسمع مثلها من قبل..
بعد ان فرغتَ من مخاطبتها من خاطبت من السماء اطرقت براسها نحو الأرض ثم جثت على ركبتيها ودون وعيٍ مني وجدتني اجثو مثلها لكن دون ان احول نظري عن وجهها الملائكي الملامح...
مدت يدها اليمنى وسلمتني الطفلة ثم نهضت فنهضتُ مثلها ...
مشقتني القوس والكنانة ومن بعد ذلك عادت لتجثو مرة أخرى وجثوت غير انها هذه المرة لم تطرق نحو الارض بل كانت تنظر الي مباشرةً في العينين فانتابني احساس بأن تلك النظرات قد اخترقتني عميقاً...

مدتْ يمناها فمددت يسراي ووضعتها فوق كفها القابضة على الرمح ومعاً رفعنا الرمح ثم غرسناه نحو الأرض دون أن نحول ناظرينا إلى الاسفل وانتشرت الاشعة الملونة هذه المرة لتعم الأرض والسماء واحسستُ بسائل لزج يسيل متسلقاً اصابع يدي ورائحة كرائحة الدم تزكم أنفي وشعرت بكفها تنسحب من تحت كفي حتى إذا صرتُ القابض الوحيد على الرمح ابتسمتْ تلك المرأة واستدارتْ فتنبهت إلى انها تود الانسحاب ... فابتدرتها بالسؤال:

(" عذرا أين تذهبين؟ لماذا لا تاتين معنا؟")

قالت دون ان تستدير نحوي:

(" لم يؤذن لي بذلك؟")

قلت لها:

(" أنا ادعوك بأن تأتي فهلا اجبت!")

أحسستُ بها مترددةً فوجدتني أقول بصوت حازم:

(" ليس طلباً لكنه رجاء وأن استدعى الأمر فسوف أجعله أمراً.. يجب أن تأتي معنا لأننا نحتاجك")

التفتْ تلك الأبنوسة الفاتنة مستديرةً نحوي وابتسمتْ ثم رفعتْ نظرها نحو السماء وتكلمت مرة أخرى بتلك اللغة الغريبة التي لا أفهم منها شيئاً وبعدها بسطتْ يمناها نحوي فسلمتها الطفلة فقبلتها وقالت موجهة حديثها نحوي :

(" اسمها البشرية")

ابتسمتُ وتذكرتُ العبارة التي دعى لي بها ذلك الصديق المجهول:

("متمنيا لكم التوفيق في انقاذ البشرية ") !!!

إتسعت ابتسامتي وامسكتُ تلك المرأة من يسراها وسرنا لبضع خطوات...

فجأة تذكرت الديك الذي كان يقف امامها فنظرتُ فإذا به وقد تسمر إلى الأرض مضجراً بدماءه وعجبتُ كيف تسنى لتلك الدماء الصعود متسلقة الرمح لحظة انغرازه في قلب ذلك الديك...

كانت السيدة "البروف" متأبطةً بذراع زوجها الزنجي بينما تمسكت صغرى بناتها بأطراف ثوبها ... أما الفتاتان الأخرتين فقد توسطهما الفيلسوف...

جلس السيد "بيل" إلى جوار جثمان زوجته الجميلة "هيلين" ...

بينما جلستُ عند دفة السفينة وإلى جواري جلستْ السيدة "ميري" حاملةً الطفلة "البشرية" حينما أقترب مني النادل ليهمس في أذني:

(" لقد ركب الجميع يمكننا الأنطلاق ")

تنحيتُ جانباً عن الدفة ورفعتُ يدي فإذا بتلك السيدة التي جلبتها "البروف" مع من جلبتْ من تلك الجزيرة التي كانت قد حملتها إليها الدلافين تتقدم ومعها رجل من عشيرتها فأدارا الدفة وأبحرتْ بنا السفينة تشق عباب المياه ومن حولنا تتطاير الحيتان والأسماك وبقية المخلوقات المائية وهي تفر هرباً من تلك المخلوقات العجيبة والتي كادت أن تغطي المحيط رغم أنه لم يمضى وقت طويل منذ إنفجار غواصة الأبحاث...

أخذت أنظر في ركاب السفينة ...

هذا السيد "بيل" وقد كان أغنى أغنياء العالم واليوم قد تخلى عن كل ما يملك واصطحب جثمان زوجته أملاً في أن تعود للحياة كما وعدته "البروف"...

الفيلسوف والنادل جلسا في ركن من أركان السفينة وراحا يتهامسان بينما جلس الرجال والنساء الذين جلبتهم "البروف" من جزيرتهم لتجري عليهم التجارب وقد بدى عليهم – برغم الإعياء الذي يتملكهم – سروراً وفرح...

أخذت أقارن بين الجميع فوجدت الكثير من الشبه والتشابه والإشتباه...

تسائلتُ عن الذي يجمع بينهم !!!

فجأة تقدمت نحوي السيدة "ميري" لتضع الصغيرة "البشرية" بين يدي ...

نهضت منتصباً حاملاً "البشرية" بيمناي ودون وعي مني رفعتُ الرمح بيساري وركزته في أرضية السفينة ... فمعتْ الفضاء الأنوار الملونة بصورة باهرة أعمت

أعين الجميع لدقائق ... وحينما خفتتْ تلك الأضواء كانت السفينة تعبر منطقة تكاثر فيها الضباب وما هي إلا دقائق حتى رستْ السفينة عند ساحل الجزيرة فأسرع الجميع بمغادرتها...

نسوةٌ من نساء الجزيرة حملن جثمان "هيلين" وأشاروا على السيدة "البروف" و "ميري" و" الطفلة ذات اللسان المشقوق" وشقيقتاها بأن يتبعوهن...

بينما أشار الرجل الذي قاد السفينة مع تلك المرأة علينا معشر الرجال أن نتبعه...

أراد السيد "بيل" أن يلحق بجثمان زوجته لكن أحدهم أعترض طريقه وأشار إليه بكل أدب أن يسير مع الرجال...

عند وصولنا بعد مسيرة دقائق معدودات المنطقة السكنية والتي تميزت بمنازلها الشبيهة بالأكواخ التي كانوا يحكون لنا عنها في الحكايات توجه بنا الرجال نحو ساحة تتوسط المباني ووقف الجميع على هيئة دائرة كبيرة ...

لم أدر كيف أو لماذا حدث ذلك...

فقد تقدمت إلى مركز تلك الدائرة فوجدت فوهة حفرة صغيرة نظرتُ فيها ثم غرزت الرمح ليضيئ الجزيرة بضوء أبيض ساطع ...

وعندما رفعتُ نظري إلى الأعلى رأيت النسوة عند قمة التلة تتوسطهن "هيلين"...

# حكايات من زمن المحن

## الجزء الثالث

إقرارجديد:

لمن قرأ الجزئين الأول والثاني من هذه الحكايات أُنهي شهاداتي كشاهدٍ على عصره وأنتقل لموقف جديد أعكس من خلاله صورة لما قد يبدو عليه الحال لو تحققت تلك الأمور التي تم سردها في ماضي الحكايات.

**محمد عبدالقادر الشيخ**

السودان – في 1445هـ - 2024م

## الجزء الثالث – الفصل الأول

### [ 1.1 ] الدولفين

لا أحد يستطيع أن يحدد كم مضى من الوقت منذ وصولنا لجزيرة الخالدين كما اسميتها....

الشمس مشرقة دائمًا والقمر مكتملا لا ينقص ولا يزيد بل يظل بدرا يسير إلى جوار تلك الشمس التي تشع ضياءً دون أن يصاحب ضوئها حرارة فلا حر ولا برد والإحساس بالليل والنهار يتداخلان...

لا ادري ما جرى بالضبط فهل تباطأ الزمن أم تسارع ...

بل لا ادري ان كان قد توقف الزمن إذ لم يعد له معنى فالاحداث في هذه الجزيرة يمكن أن تنجز في طرفة عين بل حتى من على البعد أيضاً !!!

السعادة تغمر الجميع والكل يتخاطر ويتفاكر ويتعاون في انشراح وحب ...

رزق الزوجان " بيل و هيلين " بطفل اطلقا عليه اسم "آدم" ... فشب كل من "آدم" و "الإنسانية" إبنة "ميري" من "دينق" وقد تعهدهم الجميع بالرعاية ... ورغم أن احداً لا يستطيع أن يحدد الفارق العمري بينهما في ظل توقف الزمن او انكماشه أو انبساطه فقدعكف الجميع على تعليمهم وإرشادهم والترفيه والتسرية عنهما...

ذات مرة من المرات تسائلتُ بيني وبين نفسي:

("لو قدر لانتشتاين نفسه الحضور لجزيرة الخالدين هذه فهل يمكنه ان يحدد تطبيقا للنسبية العامة او الخاصة فالمكان هنا بلا زمن فلا ليل ولا نهار والأحداث كلها تسير جنبا لجنب لا في توازي أو تقاطع أو تعامد بل في تطابق وترادف والادهى من ذلك أنه بإمكان المرء ان يتواجد في اكثر من موضع في نفس اللحظة ومع نفس أو غير الأشخاص الآخرين كما يمكنه أن يتخاطر مع جميع الكائنات المحيطة من شجر وحجر ومدر وطير وبشر...")

كنت مستلقيا على العشب في لحظة ما من اللحظات لو قدرنا أن للحظات وجود وقد أخذت ارنو نحو السماء والشمس والقمر يدوران في فلكين متداخلين بسرعة يتحكم الناظر إليهما حسب رغبته فيسرعان لمن أراد تسريعهما ويبطئان لمن أراد تبطأتهما وحتى اشعتهما يمكنها أن تتداخل وتتثنى دون الإلتزام بالانتشار في خطوط مستقيمة !!!

احسست باقتراب بعضهم ...

إلتفتُ ...

كانت جوقة من الناس تتقدمهم "ميري" وقد سار خلفها "آدم" و "الإنسانية" وقد تخاصرا بايديهما فامسك "آدم" بيساره خصر"الانسانية" بينما امسكت بيمناها خصره ...

وخلفهما كانت البقية الباقية ممن اتوا معنا الي الجزيرة يتبعهم السكان الأوائل جميعا...

نهضتُ واقفاً....

اقتربت الجماعة لمسافة ما ثم توقفوا فجأة...

طافت بخاطري ذكرى ذلك اليوم الذي التقيتُ فيه "ميري" وإبنتها "الانسانية" ...

فنهضتُ وتقدمتُ حتى وقفتُ امام "ميري" مباشرة...

رأيتها تحمل الرمح في يمناها وقد تنكبت القوس وكنانته بينما حملت في يسراها ديكا كذاك الذي غرزنا الرمح في قلبه يوم ذلك اللقاء الأول!!!!

في صمت تمت الطقوس...

قلدتني "ميري" القوس و كنانته وسلمتني الرمح و "الديك" ثم جثت على ركبتيها وجثى الجميع الا ثلاثة: "الإنسانية" و "آدم" وشخصي...

وحين اشارت "ميري" بكلتا يديها نحو السماء تقدم "آدم" و " الإنسانية" فاستدرتُ وسرتُ وسار "آدم" و "الإنسانية" الي جواري...

على الشاطئ كانت الدلافين قد تراصت كطوف او قارب ...

وما هي الا لحظات معدودة حتى كنا ثلاثتنا في رحلة قاربها وسفينها الدولفين...

## [2.1] أرض العودة

اصدرت الدلافين اصوات متناغمة وانطلقت الرحلة تمخر عباب المحيط وعلى متن القارب المتشكل من تراص الدلافين قد جلس ثلاثتنا وبيننا وقف "الديك" مزهواً... لم تنقض لحظات حتى دخلت بنا الدلافين في منطقة الضباب ولم تمض لحظات أخرى حتى كنا ثلاثتنا نغط في ثبات عميق...

افقت على صوت صياح الديك وحين تطلعتُ من حولي لم اتبين في الوهلة الأولى مكان وجودي ولا أين أنا او ماذا جرى فقد غطت العتمة الكون ولم تنجح الأضواء الخافتة الآتية من نجمات تتلألأ في صفحة السماء في قشع تلك الظلمة التي احاطت بالمكان الذي بدى موحشاً وكئيباً !!!

بعد أن مارستُ العصف الذهني في تلك اللحظة كان كل ما استنتجته انني افترش رمال شاطئ من الشطئان فصوت الامواج ورائحة مياه البحر تفوح فتزكم أنفي... رويدا رويدا ...

تذكرت جزيرة الخالدين والرحلة على قارب الدلافين ...

حاولت التخاطر من على البعد مع "آدم" و "الإنسانية"

او السيدة "البروف" او أي من الرفاق فلم انجح ...

اخذت انادي على "آدم" و "الإنسانية" دون جدوى...

على الافق بدأ الشفق الأحمر يزحف متكاثرا ايذانا بصباح يوم جديد....

تنهدتُ بعمقٍ فمنذ زمان لا اعلم مداه لم اشهد شروقا او غروبا للشمس...

نهضت ولاول مرة استغربت ثيابي والتي اعتدتها طوال فترة بقائي في الجزيرة والتي تتالف من ثوب وازار فتشابه احرام الحجاج والمعتمرين من المسلمين...

بحكم عاداتي قبل الرحلة لجزيرة الخالدين توضأت وتوجهت نحو الشرق كما كان اتجاه القبلة في بلادي وكما كنت اصلي من قبل قمت بصلاة ركعتي الرقيبة والعتيقة ورحت اترقب سماع صوت الاذان دون جدوى فقمت باداء صلاة الفجر....

عقب الصلاة ارتفع قرص الشمس التي أخذتْ ترتقي سلم السماء...

منظر لم اشاهد مثله منذ زمن!!!

وحين عم الضياء المكان تبينت انني وذلك "الديك" قد كنا الوحيدين على الشاطئ الرملي الممتد على مدى البصر ...

كان "الديك" يراقبني كمن يريد ان يستحثني لفعل شيء فحملتُ القوس وكنانة السهام بيسراي والرمح بيدي اليمنى...

ركزتُ الرمح على الأرض فإذا بضوء بالوان قوس قزح يومض نحو السماء...

كررت ذلك وفي كل مرة يزداد الضوءُ قوةً...

فجأة صاح "الديك" وأخذ يركض...

همست لنفسي ماذا ألم بهذا "الديك" وما الذي قد أصابه؟

وقبل أن أفكر في الأمر توقف "الديك" واطلق صياحه مرة أخرى...

تنهدت وقلت حسناً سوف اتبعك...

فقد تكون أكثر مني معرفة بارض العودة!!!..

مع ارتفاع قرص الشمس في السماء بدأتُ أشعر بسخونة رمال ذلك الشاطئ وقد بدأت تتعاظم وتنبهتُ أنني لم انتعل حذاءً طوال الفترة التي عشتها في جزيرة الخالدين...

لتفادي تلك الحرارة اخذت اخوض مياه الشاطئ مما اعاق سرعة تقدمي وكان الديك يستحثني بصياح يطلقه بين الفنية والاخرى...

فجأة تسمرتُ في مكاني اذ وقع نظري على تماثيل (مواي) الضخمة والتي وقفتْ على مسافة من الشاطئ...

صرخت:

(" يا للهول إنها دون شك جزيرة القيامة")

ورحت اتسائل ما الذي دفع تلك الدلافين باحضاري لجزر بولينيسيا ؟

وكيف يمكنني الوصول من شيلي الى بلادي و أنا لا املك مالا ولا شئ سوى هذا القوس وسهامه والديك والرمح؟!!

ابتسمتُ وقلتُ لابد ان اجد قرب التماثيل افواجا من السياح...

وقبل أن اغرق في الاحلام إذا بكائن ضخم يقترب من التماثيل ...

تجمدتُ في مكاني واحسستُ بنبض كل شريانٍ من شرايين جسدي وأخذ قلبي ينبض بعنف وقوة بينما اخذ الدم يندفع بسرعة الى رأسي حتى كاد أن يفجره...

انحنى ذلك المخلوق واخذ يقتلع التماثيل من الأرض ويقذفها كما يقذف الصبية الحجارة فيرمي بها بعيدا في المحيط !!!

لم يسبق ان رأيتُ او قرأتُ عن مثل هذا المخلوق فقد بدى كمسخ تشكل من مخلوقات شتى ولكن باحجام مضاعفة بمضاعفات كبيرة : ...

فالرأس وان اشبه رأس النسر الا انه بحجم تلة كبيرة والرقبة كرقبة زرافة مع اختلاف في الحجم والطول والقطر... كذلك فالاذرع كاذرع إنسان ولكنها كبناية

ضخمة متعددة الطوابق واما الجذع فجذع حوت والارجل كارجل فيل ضخم عملاق والذيل ذيل أسد والظهر ظهر سلحفاة !!!

كان ارتفاع ذلك المخلوق حين ينتصب بقامته يقارب السحاب !!!

من شدة هلعي لهول ما رأيت ركزتُ الرمح امام موضع قدمي تحت الماء...

فتلون الماء بالوان قوس قزح وسمعت صوت الدلافين قبل ان اسقط على وجهي في المياه...

## الجزء الثالث – الفصل الثاني

### [ 1.2 ] آدم ولكن ...

حين افاق "آدم" وجد نفسه في مكان غريب غاية الغرابة وعلى الرغم من أن جميع من عاش معهم في جزيرة الخالدين قد شرحوا وحكوا له وحدثوه عن الحياة في الأرض والبشر وحضاراتهم لكنه لم يتوقع ابسط الاشياء التي قابلته خلال ساعاته الأولى خارج الجزيرة ...

ففي تلك الجزيرة التي ولد وعاش وترعرع فيها لم يشهد سماء مظلمة تلتمع فيها النجوم كما لم يسبق له ان شاهد فجرا وشروقا اوميلاد يوم جديد ...

لأول مرة يتملكه الاحساس بالوحدة والوحشة وبخاصة أنه لم يجد لا حبيبته "الإنسانية" ولا مرشده "المهدي" ولا احدا ممن عرفهم في الجزيرة...

أحاسيس لم يخبرها من قبل وأحوال إندهش لها فلأول مرة أيضاً يحس بحرارة الشمس ويرى ظلالاً للأشياء!

في موطن مولده كانت الرغبات تتحقق والحاجات تقضى في طرفة عين...

كان التخاطر ...

و إزدواجية التواجد ...

وسرعة التنقل بين الأمكنة ...

وغيره من البديهيات والمسلمات التي لم يخطر بباله إنها سوف تفارقه بفراق الجزيرة...

أخذ يمشى ويمشي وينادي على "الإنسانية" و "المهدي" في سره ثم أخذ يصرخ منادياً دون جدوى فلا مجيب ...

استرعا انتباهه صدى صوته ...

فأخذ يصرخ منادياً وفي البدء تملكه غضب فتمتم:

(" يا للغباء فقط يتكرر ما أقول ! ")

ثم كمن أخذ يستأنس برجع الصدى ظل يردد ويكرر الصياح منادياً كل من عرفهم..

أحس بالعرق يتصبب من جسده فلعقه وبسرعة تفله فقد وجده مالحاً...

استلقى على الرمال لكنه سرعان ما هب واقفاً وصارخاً من لسعة حرارتها ...

وبعد جهد جهيد وصل إلى شجرة ظليلة فجلس تحت وارف أغصانها وتذكر أمه "هيلين" فأجهش بالبكاء...

بكى لأول مرة في حياته وكرر تجربة لعق السائل من جسده فلعق الدمع ليجده أكثر ملوحة من العرق!!!

غفا من التعب ...

راودته الأحلام ...

رأي نفسه يسير وإلى جانبه حبيبته "الإنسانية" وفي حلمه عاتبها لعدم الرد على نداءاته المتكررة...

عللت ذلك بشيء لم يفهمه وقالت:

(" لقد كنت مشغولة بالتجهيز للعيد ")

هب من نومه مذعوراً ...

بحلق حوله فلم ير شيئاً فقد حل الظلام وغابت الشمس...

لم يطل القمربل حتى النجوم أختبأت خلف الغيوم ...

الريح يزمجر ...

وهطل المطر ...

تسائل "آدم" عن سر بكاء السماء ...

ألتقط حبات من قطرات المطر وتردد قبل أن يتذوقها فقد خشي أن تكون دموع السماء أكثر ملوحة من دموعه...

تبللت ملابسه بماء المطر ...

أومض البرق وأعقبه صوت الرعد يصم الآذن...

أحس بضربات قلبه تتسارع ...

لأول مرة إنتابه إحساس بالخوف !!!

كان الاحساس بالخوف لأول مرة لدى "آدم" قد استصحب معه شعورا بالخجل والضعف والانكسار....
تمنى لو يستطيع اللحاق بوالديه في جزيرة ميلاده...
تسائل عن سر كل ما جرى وما يجرى معه منذ مغادرته على ظهر قارب الدلافين....
فجأة هب واقفا في تلك الظلمة واخذ ينادي باعلى صوته على فتاة أحلامه المسماة "الإنسانية" وتصورها بلون بشرتها السوداء قد تمددت فملأتْ الفضاء المحيط به فكان ذلك سببا في التخفيف عليه وبث شيء من الطمأنينة في نفسه!!!
سألت الأرض جداولا من الماء وانحدرت السيول صوب المحيط الذي أخذت أمواجه الهادرة تزمجر في غضب والرياح العاتية تصفعها بعنف يغور به عاليها وتجذبها في شدة فيعلو غورها !!! ...
مع بواكير شروق فجر جديد بدأت الرؤية تتضح نتيجة لانهزام الظلام امام ضوء الشمس رغم اختباء الاخيرة خلف الغيوم...
صوت استرعى انتباه "آدم" فتيقظ واخذ يجول بنظره في جميع الاتجاهات ...
اقترب الصوت اكثر فاكثر فحدد "آدم" الاتجاه الذي يصدر منه الصوت ومرة أخرى تعجب اذ كيف يأتي الصوت من جهة محددة ففي الجزيرة كانت الاصوات غير متجهة بل تأتي من جميع الاتجاهات او من غير الاتجاهات فيحسها المرء ويسمعها ولا يحتاج ان يحدد مكان مصدرها !!!
سار في اتجاه الصوت وخاض ماء السيل الذي اعترض طريقة ...
اثناء سيرة في الماء شعر بشيء يصطدم بساقه...
انحنى فإذا به يلتقط القوس وجعبة النبال فصرخ:
(" رباه ماذا حل بالمهدي؟")
وانحنى تارة أخرى وبحث في الرمال تحت الماء فاخرج الرمح أيضاً...
توجس خيفة وخشي ان يكون مكروها قد حل بالمهدي فهمس:
(" هل يمكن أن يكون المهدي قد مات؟")
حزن عميق تملكه لكن عاد ليسأل نفسه عن ما هو الموت؟

وكيف يمكن أن يموت الناس؟

ففي الجزيرة لم يمت إنسان وكل ما عرفه عن الموت وصله من خلال الحكايات التي قصها عليه نفر ممن كانوا يعيشون حوله...

تنشب القوس وتنكب الكنانة وحمل الرمح ثم واصل سيره في اتجاه الصوت...

## [ 2.2 ] **العاشقة الحالمة**

اظهرتْ الفتاة المسماة "الإنسانية" شجاعةً ورباط جأشٍ كبيرين حين استيقظتْ من نومتها أو لنقل حين أفاقت من حالة الاغماء التي تملكت ثلاثتهم خلال الرحلة العودة...

كانت الدلافين قد قذفتها في أحد الشطئان بعيدا عن رفيقي رحلتها...

تلفتتْ حولها وفي هدوء أخذتْ تصلح من هيئتها وملابسها بصورة من تتوقع مقابلةً هامة أو تترقب لقاءً عاطفياً...

تطلعتْ حولها فرأت تلة صغيرة يسيل جدول ماء من أحد جوانبها وقد كستْ الازهار و الاشجار معظم مساحاتها...

بخطواتٍ وثابة رشيقة توجهتْ نحو تلك التلة وفي طريقها قطفت ثلةً من الازهار ورتبتها في تناسق يدل على ذوق رفيع ثم تخيرت ظل إحدى الأشجار المطلة على الساحل وجلست تترقب حضور حبيبها "آدم" و/أو السيد "المهدي"...

لم تفكر بالزمن ففي الجزيرة لم يعرفوا هذا المصطلح ولكن حين غابت الشمس تمددت على العشب واخذت تراقب النجوم المتلالاة في صفحة السماء دون ان تكترث بالمنظر او تستغربه رغم انه لم يسبق لها رؤية النجوم او ظلام الليل قبل ذلك في جزيرة الخالدين ولابد من أن يكون ضرباً من الخيال القول بأنها قد إحتفظت بذكريات الليل والظلام والنجوم من طفولتها الأولى إذ أنها حين غادرت مع "المهدي" والمجموعة إلى جزيرة الخالدين لم تكن تبلغ من العمر إلا إياماً لا تتجاوز الشهر !!!

شيء واحد كان يستحوذ على افكارها ومشاعرها وهو كيف سوف تستقبل "آدم" عند ظهوره!!!

غفت للحظات ورأت في منامها انها وقد جلس"آدم" الي جوارها وتشابكت إيديهما ومن حولهما تحلقت حلقات كثيرة من البنين والبنات والاحفاد وابناؤهم واحفادهم على مد بصرها وحتى انسداد الافق...

ورغم أن أحداً لم ينبس ببنت شفة طوال الحلم الا انها استيقظت مبتسمة منشرحة الصدر وهمست:

(" لنا الغد يا حبيبي بإذن الله...

فليبارك الله في ذريتنا ...")

قررت أن تغزل وتنسج أقمشة قطنية وتخيط ثيابا لذريتها القادمة وهمست كمن تخاطب حبيبها:

(" رغم شوقي للقائك لكن لا ضير لو تأخرت قليلا حتى أعد لك مفاجات كثيرة علها تسعدك ...") !!!

تابع آدم الصوت الذي سمعه ... ولكن ...

فجأة توقف الصوت وأرتعش "آدم" وتملكته الحيرة...

إحساس بالغضب تملكه فأخذ يركل الهواء برجله ثم غرز الرمح عميقاً في الأرض...

إرتجف ظهر الأرض وتشقق أخاديداً غائرة سرعان ما ملأتها مياه المحيط ...

وبنفس السرعة التي بدأ بها ذلك الزلزال كانت نهايته لكنه تسبب في عزل "آدم" عن البرية وأوقفه على شريحة من الأرض لا تتعدى مساحتها بضع أمتار مربعة!!!

لم يخطر ببال "آدم" في تلك اللحظة أنه لم يعد يستطيع المشي على سطح الماء كما كان يفعل في جزيرة الخالدين لذا خطا بخطو الواثق معتليا الموجة التي سرعان ما أرسلته تحت سطح الماء فأحس بأنه يهوى و يغوص عميقاً ولم يعد قادراً على تحمل إنعدام الهواء كما لم يحتمل ضغط الماء فأنهارت قواه وسرعان ما فقد الوعي...

مرت فترة زمنية كانت كفيلة بالقضاء على "آدم" لولا أن إلتقمه حوت ضخم فوفر له في داخل فمه ما يشبه الغرفة المكيفة والممتلئة بالأكسجين...

إستيقظ "آدم" ليجد نفسه قد عاد للشاطيء بعد أن لفظه ذلك الحوت المنقذ...

نهض بنشاطه المعهود ورفع عينيه نحو السماء وتمتم بكلمات شكر لله ...

بعد مسيرة عدة كيلومترات توقف "آدم" ليتدبر الأمر ويحدد هدفاً واستراتيجية لرحلته التي كانت ضربا من العشوائية التي يفرضها غموض كل ما يحيط به..

أسئلة كثيرة تتابعت على فكره ولم يجد لها إجابة واضحة...

تنهد ثم قرر أن يكتفي بهدف البحث عن فتاته "الإنسانية" ورفيق رحلته "المهدي"...

شعر ببعض الراحة بعد أن صار له هدفاً يسعى لتحقيقه...

على الأفق وقف فرس أبيض ...

رفع الفرس قوائمه الأمامية وأنتصب مرتكزاً على أرجله الخلفية ثم أطلق صهيلاً تردد صداه بعيداً وعميقاً...

أخذ "آدم" الرمح والقوس وكنانته وسار نحو ذلك الفرس الذي أسرع نحوه ساعياً إليه حتى وقف إلى جواره ثم أخذ يرنو إليه وكأنه يدعوه لأمتطائه...

كان ذلك الفرس سريعاً لدرجة تفوق الوصف والخيال...

مال "آدم" أثناء عدو الفرس ومسح على عنقه فتوقف الجواد ورفع قوائمه الأمامية كما فعل من قبل وأطلق صهيله المميز...

## الجزء الثالث – الفصل الثالث

### _ [ 1.3 ] الحاخام

إقترب "آدم"من سلسلة جبال تناطح السماء ...

فلاحظ كهفاً ينبعث منه ضوء خافت فسار نحوه ...

هتف منادياً:

(" هل من أحد هناك ؟")

كرر ذلك لعدة مرات وبعدد كبيرمن اللغات وحين أوشك أن ينصرف أستوقفه رجل خرج من ذلك الكهف فأقترب "آدم"منه أكثر لكن الرجل أشار عليه بالتوقف وتقدم هو بخطوات حذرة تخطى بها عدد من الفخاخ المخفية والمنصوبة بعناية حول الكهف...

دار بين الرجلين حوار باللغة العبرية التي تعلمها آدم وأجادها مع ألوف اللغات الأخرى أثناء وجوده في جزيرة الخالدين...

عرف "آدم" أن الرجل حاخاماً يختبئ مع جماعة من اليهود القرائيين وقد سأل "آدم" فيما إذا كان "يأجوج" و "مأجوج" قد غادرا الأرض أم لا زالا يعيثان فيها فسادا ودمارا...

تعجب "آدم" وسأل ذلك الحاخام عن تفسير وشرح ما يعنيه فقال الرجل:

(" منذ قرون مضت كانت الأرض عامرة ببني البشر ولكن كما يرويه التاريخ فقد تطاولت منظمة يمتلكها بعض الأثرياء تسمى "بمنظمة أكس من أجل مستقبل مشرق" فقامت بتعديل جيني وراثي تسبب في ظهور مخلوقات غريبة وخطيرة حاولت تدمير الحضارة على ظهر الكوكب...")

سأل "آدم" في براءة:

(" ما معنى منذ قرون ؟ وكيف وصلت تلك الأخبار لجماعة منعزلة في الجبال؟")

تبسم الحاخام قبل أن يرد على الأسئلة فيوضح له بأن البشر الغابرين أتخذوا من شروق الشمس وغروبها مقياسا كميا لوصف ما أسموه بالزمن ومنه صار اليوم والشهر والعام والقرن وبقية التفاصيل الزمنية التي من شدة إرتباطها بالوعي البشري صارت مختلطة أو كما يقولون عن مثلها من المبهمات والمشتكلات (السهل الممتنع) أما كيف وصلت الأخبار لجماعة منعزلة فقد قال الحاخام بصوتٍ يتملكه الحزن:

(" لم نكن أمة منعزلة خائفة تحتمى بين الكهوف بل كنا عندها نقود العالم ونتلاعب بالبشر لتحقيق غاياتنا وقد جمع أجدادنا ثروات طائلة ولولا أن أحد الجدود والذي ندين له ونلقبه بالملك "لافي" قد طلب من كبير الحاخامات وقتها أن يحتمى والعشيرة بالكهوف نتيجة لقرب حلول كارثة تخطط لها منظمة أكس ويرعاها زعيم المنظمة السيد "بيل" وزوجته "هيلين"...)

إنحدرت الدموع من مآقي "آدم" وبدون أن يفكر في الأمر وجد نفسه يهمز جواده الذي إنطلق به يسابق الريح...

## [ 2.3 ] هرميجدون أم راجناروك أم المعركة الكبرى

كانت المحطة التالية لآدم دير لرهبان مخبئة بعناية فائقة وسط أشجار غابة كثيرة الأشجار وفي لقائه مع أحد الرهبان دار بينهما حواراً يشابه حواره السابق مع الحاخام لكن الراهب أضاف شيئاً جديداً عن معركة أسماها " هرمجدون" وذكر أن السيد "المسيح" عليه السلام سوف ينزل من السماء ليقود جيش الموحدين ويهزم "الثالوث غير المقدس" فيقتل "النبي الكاذب" و" التنين" ويقطع الرؤوس السبعة لوحش البحر...

مرة أخرى أكد الراهب لآدم الكارثة التي تسبب فيها السيد "بيل" ومنظمته التي سعت للسيطرة على العالم...

ومرة أخرى بكى "آدم" وأحس بصدره ينقبض فإنطلق بعيدا عن الراهب وهو يتسائل " لماذا صدر ذلك عن والديه ؟"

وقرر أن يخفي تلك الحقائق عن حبيبته "الإنسانية" حين يعثر عليها...

فجأة توقف الفرس وطأطأ رأسه وأحس "آدم" برجفة تسري في جسد ذلك الحيوان..

تلفت حوله وإذا بذلك الوحش المسخ الذي رآه "المهدي" من قبل يظهر فيسد الأفق..

قفز آدم من على ظهر الفرس وأمسك بقوسه ...

هز الفرس رأسه كمن يعجب لمقارنة ذلك الوحش بهذا السهم الصغير ...

أطلق "آدم" السهم في إتجاه المسخ...

دوى إنفجار هز الأرض من أركانها وتطايرت في الأفق أشلاء ذلك الوحش لتنتشر على رقعة واسعة من البر والبحر...

إنتصب الفرس وأطلق صهيله ثم قطعه كمن حلت عليه كارثة جديدة...

وعلى الأفق ظهر ذئب عملاق يشبه "فنرير" ذلك الوحش الذي يزعم النورمانديين أنه قد ولد للمخادع الماكر " لوكي" من عشيقته "أنغربودا" وإلى جوار الذئب تمددت "يورمونغاندا" شقيقته الحية ...

لم يضيع "آدم" وقتاً بل أطلق من جعبته سهمين حملتا الموت للذئب والثعبان...

حين أنقشعت عن السماء تلك الأمطار التي تشكلت من قطع أجساد المسخ والذئب والحية ، عاد "آدم" ليمتطي فرسه وينطلق ينهب الأرض بحثاً عن حبيته...

جماعة من المسلمين المحتمين بالكعبة البيت الحرام قابلوا "آدم" ومرة أخرى كان السؤال عن "يأجوج" و "مأجوج" و"المسيح الدجال" و "المسيح عيسى عليه السلام"...

الفارق الوحيد بأن أجداد هؤلاء المسلمين كانوا يجهلون عن منظمة أكس ولم يحذرهم أحد بدنو حلول الكارثة ولكن لطف الله ورحمته قد تغمدهم إذ يرجح أن من كان من أجدادهم أعضاء ضمن أعضاء المنظمة لم يعدو سوى أن يكونوا من أرازل الخلق ممن غطوا على رؤوسهم وربطوا فوقها حبالاً ليقولوا للجميع بأنهم صم بكم عمي وبأنهم فد فارقوا تعاليم دينهم وتبعوا شيطان المال في ذل وخنع لا يليق إلا بهم !

قال الشيخ من بين دموعه :

(" رغم أن أسلافنا كانوا يملكون النقود والأموال إلا أنهم في فترة من فترات التاريخ حكمهم فيها أشباه الرجال - ولا رجال - فنسيت الأمة دينها ولم يعيروا كتاب الله إنتباهاً حتى لكني بهم وهم موقوفون بين يدي الله في يوم القيامة يوم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" رب إن قومي أتخذوا هذا القرآن مهجورا ")

ثم واصل الحديث وأوضح بأنهم يعيشون اليوم على أمل قيام المعركة الكبرى التي ينتصر فيها الخير على الشر وينتصر الموحدون على المشركين والملحدين...

أنطلق آدم راخياً عنان فرسه وسرعان ما أقبل الليل فغطت الظلمة السماء إلا من ضوء خافت ظلت ترسله بعض النجوم المتلألأة ...

رفع "آدم" رأسه وراح يراقب مجرة اندروميدا وطافت بخياله صورة حبيبته "الإنسانية" فهمس "أين أنت ايتها المرأة المسلسلة؟ "

طلع الفجرُ ووصل آدم بفرسه لأحد الشطئان حيث لاحت له من على البعد تلة يتحدر جدولاً من أحد جوانبها وقد غطت الأزهار والأشجار معظم مساحتها...

# نتوقف عند هذا الحد وقد تكون لنا عودة في المستقبل.



**( محمد عبدالقادر الشيخ )**

---

# رب أهدي قوم فأكثرهم غافلون.

---






**حكايات من زمن المحن**

**المجموعة الكاملة ( الأجزاء الأول والثاني والثالث )**

---------------------------------------------------------

**مجموعة صاد العالمية**

**محمد عبدالقادر الشيخ محمد – 2024م**

---------------------------------------------------